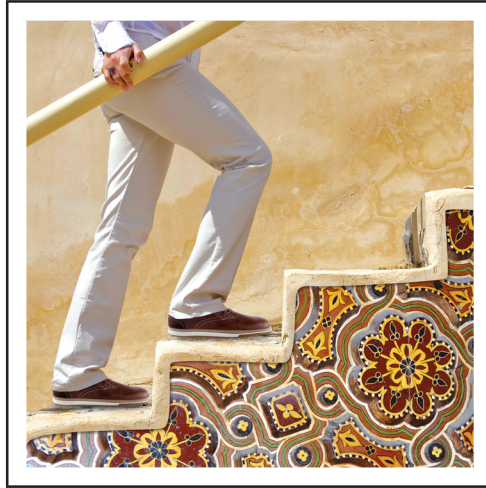


الشيخ د. أكرم بركات

برنامج السيرة والسلوك



سلسلة على منبر القائم

بيت السراج
بيروت | لبنان

بُرْجُ السَّيْرِ وَالسُّنَنِ

الكتاب: برنامج السير السلوك

المؤلف: الشيخ د. أكرم بركات

الناشر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الأولى: بيروت ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م


© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

برنامح السيرة والسؤال

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم 

قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر
والملوك وتضيء على طريق سعادة
الإنسان، وتوضح برنامجها تناولها
الشيخ د. أكرم بركات على منبر
مسجد القائم  في الضاحية
الجنوبية لبيروت ثم ألبسها ثوب
الكلمات المكتوبة بين يديك عسى
أن تكون محلاً للقبول.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على الصادق الأمين محمد وآله الطاهرين.
يأتي هذا الكتاب «برنامج السير والسلوك» تنفيذاً لوعدٍ سبق
منِّي في كتاب «ميزان السير والسلوك»، منذ سنوات طويلة، ليكون
البرنامج متمماً للميزان، ولئن كانت الظروف وكثرة المشاغل
وتداخل الأولويات أخرت تأليفه، إلا أنَّ شعوري بأهمية وجود مثل
هذا الكتاب لم يخدش قطّ، إلى أن وفقني الله تعالى في شهر
رمضان المبارك هذه السنة لإلقاء سلسلة من الدروس الرمضانية
في لقاء الظهيرة المعتاد سنوياً في مسجد القائم عليه السلام، فاخترت
برنامج السير والسلوك عنواناً لهذه اللقاءات الإيمانية، وتنفيذاً
للوعد السابق سطّرت ما ألقيت مع تعديل طفيف؛ ليدخل ذلك في
سلسلة على منبر القائم عليه السلام.

إنَّ هذا الكتاب لا يهدف إلى تقديم إبداع في الفكرة، بل إلى
مضمون يتّصف في عمقه بالسلامة، وفي شكله بالسلاسة والوضوح،
وذلك في ظلّ بعض المؤلّفات في هذا الموضوع الخطير لا تخلو من

أخطاء مضمونيّة قد توصل إلى انحرافات مسلكيّة، وأخرى لا يخلو بعضها من تعقيد في العرض يبعده عن الجاذبيّة المطلوبة، لا سيّما أنّنا نعيش في عصرٍ أضحى من الضروريّ مراعاة جانب الجذب لقرّاء اليوم.

وفي مناخات المدارس المختلفة والأنظار المتعدّدة في عرض برنامج السير والسلوك كان هذا الكتاب في ضوء مدرسة أهل البيت عليه السلام بحسب ما قدّمه الإمام الخمينيّ قدس سرّه في كتبه القيّمة، التي أضاءت أمامنا دروب الكمال على قاعدة الأصالة. وأخيراً، أسأل الله تعالى القبول، وأن يختم لي بالعاقبة الحسنة.

أكرم بركات

بيروت ١٤٣٦هـ

الفصل الأول



على عتبة البرنامج

قبل الشروع ببيان برنامج السير والسلوك لا بدّ من
الإضاءة على أمور تمثل مقدمات مهمّة لبصيرة السالك
إلى الله عزّ وجلّ.





هدف السير والسلوك

يُدرِك الإنسان بعقله أنّ الله حكيم يضع الأمور في مواضعها المناسبة، ولا يفعل شيئاً من باب العبث، بل هو هادف في كلّ فعل، لذا يحقّ للإنسان أن يسأل ربّه: لماذا خلقتني؟

وبما أنّ الله تعالى غنيّ مطلق، فإنّ هدفه، بالتأكيد، لا يتعلق بمصلحة تعود إليه عزّ وجلّ؛ فهو تعالى، لا يحتاج إلى شيء، لذا لا بدّ أن يكون الهدف راجعاً إلى كمال الإنسان اللائق به، فما هو هذا الهدف؟

لقد عرض القرآن الكريم الجواب عن التساؤل المتقدم في صيغ متعدّدة تحوم حول العمل الأحسن الوارد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١)، ولعلّ أبرز هذه الصيغ صيغة العبادة التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

وقفه مع العبادة

تطلق العبادة في معناها الأصليّ على الفعل الذي يكون طيّعاً

(١) سورة الملك، الآية ٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

لَيْنًا مُذَلَّلًا بحيث لا يكون فيه عصيان، ولا مقاومة، ولا اعتداء. من هنا سميت الطريق التي أزيلت أحجارها المؤذية وأشواكها الضارة، فأصبحت لينة غير شكسة بـ «الطريق المعبدة» أي المسلوكة المذللة^(١). وعليه، فعبادة الله تعني السير في سبيله عز وجل بلين وتذل، مقابل العصيان الذي يحمل معنى الممانعة والمعادنة. ولم يكتفِ القرآن الكريم بالتعبير عن هدف خلق الإنسان بالعبادة التي تحمل في طياتها عبورًا وسلوكًا وسيرًا، بل أكثر من التعبير عن الطريق الموصلة إلى الله تعالى بعنوان «سبيل الله»، كقوله تعالى:

- ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).
- ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٣).
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾^(٤).

وأخرى بعنوان الصراط، كقوله تعالى:

- ﴿وَأَنْ أَعْبُدُ فِي هَذَا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).
- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦).

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لاط)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ج ٤، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

(٥) سورة يس، الآية ٦١.

(٦) سورة الفاتحة، الآية ٦.

- ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾^(١).

ويبدو أنَّ الصراط هو الطريق الرئيسيَّة التي تصبَّ فيها سبل الله تعالى الفرعيَّة، ولعلَّه لهذا لم يجمع في الكتاب العزيز بخلاف السبيل الذي ورد جمعاً كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢). ممَّا مرَّ نفهم المنشأ لمصطلحي السير والسلوك، فهما تعبيران عن العبور في سبيل الله للوصول إلى الكمال اللائق بالإنسان.

تزكية النفس

والتعبير بالكمال الإنساني يتواءم مع المصطلح المكرَّر في القرآن الكريم في إطار كونه هدفاً لبعثة الرسول الأكرم ﷺ وهو التزكية، قال تعالى:

- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

- ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٣) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

فالتزكية تأتي في اللغة بمعنى التنمية^(١)، فتزكية النفس أي تنميتها وتطويرها وتكاملها.

لذا منح القرآن الكريم الجائزة العظمى وهي الفلاح لمن تزكى، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٢).

ومما يوضح أهمية هذا الأمر هو التدرُّج الذي عرضه القرآن الكريم للهدف الذي خلق الإنسان لأجله، فقد تقدّم أنّه تعالى عنونه بالعبادة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، إلّا أنّه لم يكتفِ بذلك، بل حدّد هدفاً آخر للعبادة هو التقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤)، وأيضاً لم يكتفِ بهذا، بل أوضح غاية التقوى بقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).

إذاً العبادة هدف الخلق، والتقوى هدف العبادة، والفلاح جائزة التقوى.

وعليه فقولته تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٦)، هو اختصار لمسيرة العبادة والتقوى بكونهما يقعان في إطار كمال النفس وتزكيتها، فالسير والسلوك هدفهما هذا الكمال وهذه التزكية.

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) سورة الأعلى، الآية ١٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢١.

(٥) سورة المائدة، الآية ١٠٠.

(٦) سورة الأعلى، الآية ١٤.



ميزان السير والسلوك

اتجاهات في السير والسلوك

كيف نسلك سبيل الله، ونسير فيه، ونهتدي صراطه المستقيم؟
قرأنا اتجاهات كثيرة وشاهدنا تجارب عديدة كلها تنشد ذاك
السبيل لتهدي ذلك الصراط، وقد تمَّ عرض عناوين عديدة في
كتاب «ميزان السير والسلوك»^(١)، نوجز هنا بعضاً منها:

الاتجاه الأول: يحاول السيطرة على الجسد من خلال إرهاقه
وإيذاؤه؛ بحجة أن ذلك يكبح جماح النفس ويتمم السيطرة عليها،
لذا لبس الصوفيون الصوف الخشن في حرّ الصيف^(٢)، ونام
بعضهم على مسامير، وقام آخر على رأسه طوال الليل؛ لتسمح
نفسه بالقيام في الليل عن طوع^(٣).

الاتجاه الثاني: يحاول السيطرة على النفس من خلال إهانتها
لتذليلها، كحالة ذلك السالك الذي سرق ثياباً من حمام عام،

(١) بركات، أكرم، ميزان السير والسلوك، ط٨، بيروت، بيت السراج، ١٤٢٤هـ.
(٢) أنظر: المطهري، مرتضى، الكلام العرفان، تعريب علي خازم، ط١، بيروت، الدار الإسلامية،
١٩٩٢م، ص ٨٦.
(٣) الحائري، كاظم، تركية النفس، ط١، قم، مؤسسة الفقه، ١٤٢١هـ، ص ١٤٣.

وهرب ليلحقه الناس، ويقولوا عنه: سارق الحمام، وقد ذكر هذا الصوفيُّ أنه حينما اشتهر بهذا الوصف سكنت نفسه^(١).

الاتجاه الثالث: يحاول السيطرة على الذهن من الخواطر العارضة، ولذا قد يركّز على شيء واحد كالحجر وشبهه، وينظر إليه مدّة طويلة، ولا يطبق عينه عنه مهما أمكن، ويبقى على هذه الحالة ملتفتاً إلى الحجر وشبهه بجميع قواه الظاهرية والباطنية مدّة حدّدها البعض بأربعين يوماً، وزاد عليها بعض آخر^(٢).

كيف نميّز السلوك الحقّ من السير الباطل؟

لا بدّ من العودة إلى المنظومة الفكرية التي قام عليها إيماننا، فنحن عرفنا الله الحكيم الذي أراد من خلقنا هدفاً هو وصولنا إلى كمالنا اللائق بنا من خلال السير والسلوك في سبيله. وهنا يأتي السؤال: هل نستطيع وحدنا أن نتعرّف على الطريق لنسير فيها كما أراد الله تعالى، بما يتواءم مع الجسد والنفس، الفرد والمجتمع، الدنيا والآخرة؟

الجواب: كلا.

إذاً لا بدّ للحكيم أن يهدينا إلى ذلك من خلال خارطة طريق ترشدنا إلى ذلك الكمال، وهذا ما حصل فعلاً، إذ أنزل الله تعالى

(١) أنظر: بركات، أكرم، ميزان السير والسلوك، ص ٣٨.

(٢) أنظر: رسالة السير والسلوك الرسالة (المنسوبة إلى بحر العلوم)، تحقيق حسن مصطفى، ط١، بيروت، دار الروضة، ١٤١٢هـ، ص ١٣٣.

القرآن الكريم فرقاناً لتمييز الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ
الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(١).

وبما أنّ الكتاب العزيز لم يتحدّث عن كامل تفاصيل السير والعبور إلى طريق الكمال، فهو أرشدنا إلى المتمم بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾^(٢)، وبما أنّ السنوات الثلاث والعشرين التي قضاها رسول الله ﷺ رسولاً في مكة والمدينة لم تسنح له الفرصة فيها لتبليغ جميع تفاصيل الدين، استودع سنّته في أهل بيته وعترته ﷺ، وأخبرنا عن ذلك بالحديث المتواتر «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

ولا يخفى أنّ الاطلاع على الكتاب، والبحث في أحاديث أهل العصمة ﷺ لمعرفة أحكام الله تعالى يحتاج إلى دراسة تخصصية في موقع العقل، ودلالة النصّ وحجّته، والتعارض بين النصوص، والقواعد العامة المستقاة منها... الخ. لذا أمر الله تعالى أن يختصّ جماعة من المؤمنين بهذه الدراسة التي يطلق على الواصلين فيها إلى المرتبة العلميّة الوافية لمعرفة الشريعة: الفقهاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

(١) سورة الفرقان، الآية ١.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) الصدوق، محمّد، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعث، ط ١، قم، ١٤١٧ هـ، ص ٥٠٠.

لَيْسَفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾.

ويطلق على النتائج التي وصلوا إليها من خلال دراستهم «ظاهر الشريعة». وهو ما نُعبر عنه بفتاوى الفقهاء في إجابات استفتاءاتهم ورسائلهم العملية.

اتباع الفقهاء في ظاهر الشريعة

وبما أنَّ الفقهاء هم المتخصصون في معرفة الشريعة، وبما أنَّ الناس لا يستطيعون أن يجمعوا بين كلِّ الاختصاصات التي تحتاج إليها حياة الإنسان، فإنَّ سيرة العقلاء تدعو أن يتَّبِع غيرُ المتخصص المتخصص..، فيتَّبِع مَنْ لم يصل إلى مرحلة الفقاهاة الفقيه ليلتزم بنتائج الفقيهة، وهو ما يسمى: التقليد.

وهذا يعني أنَّ معرفة سبيل الله عزَّ وجلَّ والاهتداء إلى صراط الله سبحانه في الشريعة تتمَّ عبر اجتهاد الفقيه أو تقليد الآخرين له، ولا سبيل آخر سوى احتياط قد يتعذَّر في كثير من الموارد.

وعليه، فإنَّ الميزان في صحة السير والسلوك يكون في مدى انسجامه مع ظاهر الشريعة، فأَيُّ اتجاه أو تصرف يُهدف إلى تزكية النفس وتهذيبها والسير بها إلى الله تعالى يخالف ظاهر الشريعة يكون خاطئاً، بل قد يكون سبيلاً للشيطان، وهذا ما أكَّد عليه العارف الكبير الإمام الخمينيُّ قُورْسُهُ بقوله: «واعلم... أنَّ

طَيَّ أيَّ طريق في المعارف الإلهية لا يمكن إلا بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدّب الإنسان بأداب الشريعة الحقّة لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّى في قلبه نور المعرفة، وتكشف العلوم الباطنية، وأسرار الشريعة، وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه، سيستمرّ أيضاً في تأدّبه بالآداب الشرعية الظاهرية»^(١).

ويتابع الإمام الخميني قَسْرَنُ ما رسمه من ميزان، فيقول: «ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول: إن الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر، أو إنّه وبعد الوصول إلى العلم الباطن ينتفي الاحتياج إلى الآداب الظاهرية. وهذه الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسانيّة»^(٢). ويطبّق الإمام قَسْرَنُ هذا الميزان على العبادات التي دعا الله تعالى إليها، فيقول في عبادة الحجّ العظيمة:

«هي رأسمال من أفق التوحيد والتنزيه، وسوف لن نحصل على النتيجة ما لم ننفذ أحكام وقوانين الحجّ العباديّة بشكل صحيح ولائق وشعرة بشعرة»^(٣).

(١) الإمام الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ترجمة الغروي، (لا،ط)، دار المعارف، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) الخميني، روح الله، أبعاد الحج، ط١، بيروت، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ١٤٢٢هـ، ص ٢٠.

نماذج تطبيقية في ضوء الميزان

مما تقدّم نعرف:

- ١- أنّ إرادة السير إلى الله تعالى عبر فعل محرّم تعقبه توبة ينطلق منها في ذلك السير هو ضلال وانحراف لمخالفته ظاهر الشريعة.
 - ٢- أنّ إيذاء الجسد إلى حدّ الخطورة للسيطرة عليه قصدًا للسلوك إلى الله هو ضلال وانحراف لمخالفته ظاهر الشريعة.
 - ٣- أنّ تزكية النفس بوساطة تبذير المال ورميه في البحر هربًا من الرياء هو ضلال وانحراف لمخالفته ظاهر الشريعة.
 - ٤- أنّ تحقير النفس أمام الآخرين بفعل حرام يسقط فاعله من أعين الناس هو ضلال وانحراف لمخالفته ظاهر الشريعة.
 - ٥- أنّ ارتكاب بعض المحرّمات باعتبار أنّ مرتكبها قد سقط عنه التكليف بها لوصوله إلى الحقيقة هو ضلال وانحراف لمخالفته ظاهر الشريعة. وعلى ما مرّ قس أمثلة أخرى.
- وأيّاك أيّها العزيز أن تغترب بصورة الفاعل وشكله، ولا بما قد يشعرك بأنّه مقتنع بما يقوم به، ولا بما يصدر عنه من أمور غريبة، فقد يحصل كلّ ذلك من أهل الضلال، يقول السيد محمّد حسين الطهرانيّ في تعليقه على الرسالة المنسوبة إلى بحر العلوم: «إنّ المكاشفات الروحيّة تحصل قبل الوصول إلى عالم التوحيد وعالم الله، وتكون مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا يدلّ ثبوتها على الكمال، وعلى عدم ثبوتها على نفي الكمال»^(١).

(١) أنظر: الحائري، كاظم، تزكية النفس، ص ١٣٩.



معركة السير والسلوك

تقدّم أنّ العبادة بمعنى التذلل واللين، فهل هذا يعني أنّ السير والسلوك في سبيل الله تعالى أمر سهل لا يحتاج إلى جهد وعناء؟

الجواب: هناك فرق بين وعورة الطريق وسهولته، وبين لين النفس وطواعيتها أثناء العبور، فالعبادة المطلوبة من السالك هي المنطلقة من الطواعية النفسية بغضّ النظر عن الطريق التي قد تكون غاية في الوعورة والقسوة، إلاّ أنّها لا تؤثر في طواعية العابد ولين نفسه أثناء المسير.

وهذا ما نلاحظه في سيرة الأنبياء والأئمّة والصالحين فنبيّ الله نوح عليه السلام رغم صعوبة التكليف بصناعة تلك السفينة الضخمة التي يراد لها أن تحمل بقية الأحياء، وتواجه أمواج البحار العاتية، في صحراء قاحلة لا بحر فيها ولا نهر ولا بحيرة، ممّا جعل الرسول الممتحن عليه السلام محلّ سخرية واستهزاء لدى قومه، وهو ما يصوّره لنا القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾^(١)، إلاّ أنّ إيمانه ذلّل كلّ العقد التي

(١) سورة هود، الآية ٢٨.

كان يتوقع الكثيرون أن توقفه عن إكمال سيره في صنع السفينة، لذا كان يجيبهم بطلاقة وجه، وراحة نفس، واستبشار المصير بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ^(١).

وقد تجلّى هذا الإيمان الذي عبر كلّ العقبات الواقعة في طريق الوصول إلى المعشوق في مصرع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد كلّ بلاءاته التي قدّم فيها الأبناء والأهل والأصحاب، مشارفاً سبي النساء المطهرات. ومع ذلك كلّّه، فإنّ آخر مقولته قبيل شهادته كانت أنشودة الحبّ الإلهيّ، فيها تتمم قائلاً: «اللهمّ متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيّ عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرّك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي إليك مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً...» ^(٢).

نعم ما تقدّم يختصّ بالأولياء، ومن امتحن الله قلبه بالإيمان، أمّا بالنسبة لسائر الناس، فالسير والسلوك في سبيل الله فيهما جهد وعناء عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ

(١) الآية السابقة ذاتها.

(٢) الطوسي، محمد، مصباح المتهجّد، ط١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ، ص ٨٢٧.

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمْلَمِيهِ^(١)، فالكدح يعني السعي والعناء وجهد النفس في العمل^(٢)، وهذا يدخلنا إلى مصطلح آخر في السير والسلوك ورد في القرآن الكريم وأكده الرسول الأكرم ﷺ وهو مصطلح جهاد النفس، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣).

معركة جهاد النفس

من هنا شبه الرسول الأكرم ﷺ السير والسلوك لتحقيق الكمال الإنساني بمعركة تشابه المعركة العسكرية، بل تتفوق عليها في شدتها، فقد ورد في كتاب الكافي بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بعث سرية، فلما رجعوا قال ﷺ: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ: جهاد النفس»^(٤).

مشهد معركة جهاد النفس

انطلاقاً من هذه الرواية النبوية الشريفة يصور الإمام الخميني قدس سره في كتابه الأخلاقي القيم «الأربعون حديثاً جهاد

(١) سورة الانشقاق، الآية ٦.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م، ج٢٠، ص ٢٤١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٤) الكليني، محمد، الكافي، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٢٦٧هـ.ش، ج٥، ص ١٢.

النفس في مشهد معركة تتوسّطها النفس الإنسانيّة، ويتجاذبها جُندان (جيشان): جُند الرحمن؛ ليوصلوها إلى السعادة، وجُند الشيطان؛ ليقذفوا بها إلى هاوية الشقاء.

وهذه المعركة ليست في ساحة واحدة وعالم واحد، بل لها عالمان:

أ- عالم الظاهر

ويُسمى عالم المُلك، ويكون ميدان المعركة فيه هو جسد الإنسان من خلال أقاليمه المُلكية السبعة، وهي:

١- الأذن، ٢- العين، ٣- اللسان، ٤- البطن، ٥- الفرج، ٦- اليد، ٧- الرّجل.

وتكون قوى الإنسان الظاهريّة في هذه الأقاليم السبعة تحت تصرّف نفس الإنسان التي تقع وسط معسكرين، كما تقدّم، معسكر الرحمن ومعسكر الشيطان.

معسكر الرحمن يحاول جذب الأقاليم للخير، ومعسكر الشيطان يحاول جذبها للشرّ فالمعركة بينهما ميدانها:

١- **الأذن**: يتجاذبها المعسكران، إمّا لاستماع القرآن، أو مجالس

العزاء، أو العلم النافع...، وإمّا لاستماع الغيبة، أو الغناء، وما شابه.

٢- **العين**: يتجاذبها المعسكران، إمّا لتتنظر إلى المصحف الشريف،

أو لتحرس على ثغور المسلمين...، وإمّا لتتنظر إلى الوالدين

بمقت وبغض، أو إلى ما حرّم الله من عورات الآخرين...

٣- **اللسان:** يتجاذبه المعسكران، إمّا ليلهج بذكر الله تعالى، أو بقراءة القرآن الكريم أو نصيحة الآخرين...، وإمّا ليكذب على الناس، أو ليُغَيِّي أو ليفتن بين الناس.

٤- **البطن:** يتجاذبه المعسكران، إمّا ليصوم، أو ليمتنع عن أكل ما حرم الله...، وإمّا ليأكل الميتة، أو يشرب الخمر...

٥- **الفرج:** ويتجاذبه المعسكران إمّا ليكون وسيلة لتأسيس أحبّ بناء إلى الله تعالى وهو بيت الزواج...، وإمّا ليكون وسيلة للزنا أو الاستمناء...

٦- **اليد:** يتجاذبها المعسكران، إمّا ليحمل الإنسان بها بندقيّة ليحمي الثغور، أو قلمًا يكتب به علمًا نافعًا...، وإمّا ليسرق بها مال الآخرين، أو يعتدي بها بضرب الناس...

٧- **الرّجل:** يتجاذبها المعسكران إمّا ليمشي الإنسان بها إلى المسجد، أو ساحة الجهاد...، وإمّا ليسيّر بها إلى مكان المنكر، أو يعتدي بها على الناس...

النفس مائلة

ولكي تنتصر النفس في هذه المعركة لا بدّ أن تخوض جهادًا لجذب الأقاليم السبعة إلى معسكر الرحمن.

ويصوّر الإمام الخميني قُدَّسَتْهُ صَعُوبَةُ المعركة في أنّ النفس لو تُركت دون جهاد لمالت واتجهت نحو جنود الشيطان^(١)، ولعلّه لهذا

(١) أنظر: الخميني، روح الله، الأربعون حديثًا، ص ٣٣.

السبب سَمِّي الجهاد بالأكبر، لأنَّه مستمر متواصل إلى نهاية حياة الإنسان الدنيويَّة. وهذا ما ينسجم مع قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(١)، أي إذا انتهيت من أداء أمرٍ مهمٍّ، فابدأ بمهمَّةٍ أخرى، فلا مجال للاسترخاء، فالسعي مستمر، وكلُّ نهاية مهمَّة هي بداية لمهمَّةٍ أخرى^(٢).

ب- عالم الباطن

ويُسمَّى عالم الملكوت، والمعركة في هذا العالم أشدَّ وأهمَّ، والصراع فيه بين قوى باطنية أربع، هي:

١- العقل، ٢- الغضب، ٣- الشهوة، ٤- الوهم.

المراد من الوهم

إنَّ المراد من الشهوة والغضب واضح، أمَّا الوهم فنوضحه انطلاقاً ممَّا ذكره المناطق من تعداد وتعريف لوسائل الإدراك عند الإنسان، وهي:

- ١- **الحسّ**، من خلال الحواس الخمس (البصر والسمع والشم واللمس والذوق). وهذه القوة مشتركة بين الإنسان والحيوان.
- ٢- **الخيال**، والمراد به القوَّة التي تتصرَّف في المحسوسات المحفوظة لدى الإنسان، فينسب بعضها إلى بعض، مثل كون

(١) سورة الشرح، الآية ٧.

(٢) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قم، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، (لا، ت)، ج٢٠، ص ٢٦٥.

هذا أطول من ذاك، ومن قبيل تخيُّله بلداً لم يره في حياته؛ وذلك انطلاقاً من الصور الذهنية المعروفة عنده من خلال مشاهداته للبلدان، وهذه القوة مشتركة أيضاً بين الإنسان والحيوان، فالقطّة حينما تريد القفز وراء حائط، فإنّها تلاحظ طول ذلك الحائط، وتدفع نفسها بقوة متناسبة مع ذلك.

٣- **الوهم**، والمراد منه عند المناطق قوة إدراك المعاني الجزئية كإدراك الطفل لحبّ أبويه له، وهذه القوة أيضاً مشتركة بين الإنسان والحيوان، فمن خلالها تعرف الشاة أنّ ولدها حبيب، وأنّ الذئب عدوّ، وأنّ المتعهد بعلفها صديق. وقوة الوهم هذه لا تتوقف عند مجرد إدراك المعاني الجزئية، بل تتعدّى ذلك إلى التخطيط من خلال وجوه من الحيل للوصول إلى الغاية المطلوبة.

الطائر الماكر

حدثني أحد أصدقائي الذين زاروا سويسرا، أنّه رأى طائراً يقف على عمود إشارات السير، وفي فمه حبة جوز، وحينما أضاءت الإشارة الحمراء، وقفت السيارات، فنزل الطائر، ووضع حبة الجوز تحت دولاب سيارة واقفة، ورجع إلى قمة ذلك العمود إلى أن أضاءت الإشارة الخضراء، وسارت السيارات، وبالتالي كُسرت حبة الجوز تحت إطار تلك السيارة، ولما أضاءت الإشارة الحمراء مرة

أخرى، وتوقفت السيارات نزل الطائر إلى الأرض ليأكل فتات تلك الحبة المتحطمة من الجوز.

إنَّ ما قام به هذا الطائر ينطلق من قوَّة الوهم التي لديه، والتي من خلالها استنبط ذلك المكر وتلك الحيلة.

والإنسان من خلال قوة الوهم هذه يخطُّط للوصول إلى ما تميل إليه قوتا الشهوة والغضب، فيخطُّط لأجل الاستجابة لشهوة البطن كيف يسرق الطعام من خلال استساخ مفتاح المنزل وما شابه، ويخطُّط بقوة الوهم كيف ينتقم ممَّن غضب منه في عتمة الليل كي لا يراه أحد.

القوى الثلاث في أصلها قوى خير

إنَّ إيجاد الله تعالى لقوى الشهوة والغضب والوهم في الإنسان إنما كان لدورها الخير المفيد في حياة الإنسان، فبالشهوة يتزوَّج الناس، ويستمرُّ المجتمع الإنساني، وبالغضب يدافع الإنسان عن نفسه وعرضه وأرضه، وبالوهم يخطُّط الإنسان لسعادته، ومشاريعه المستقبلية، وخدمة الناس كالإصلاح بين المتخاصمين.

وليحافظ الإنسان على خيريَّة ونفع هذه القوى لا بدَّ من العمل المستمرَّ على كون العقل، الذي سيجيء تعريفه، سلطاناً وحاكماً عليها، فإذا ضعف العقل، فإنَّ هذه القوى قد تجرف الإنسان إلى الانحطاط وتدفع به إلى الشقاء. بل إنَّ الإنسان لو لم يجاهد للمحافظة على قوة العقل، واسترخى في ذلك، فإنَّ قوة الوهم

ستتحكّم بمسار الشهوة والغضب، ليؤوّل حال الإنسان إلى الشقاء والعذاب.

فالنفس الإنسانيّة مثل القصبة المائلة بطبيعتها، وميلها هو باتجاه معسكر الشيطان، فلا بدّ للإنسان أن يشدّ طرفها بشكل دائم ومتواصل، فأَيّ إرخاء لها، فإنّها، بقوة الوهم، ستميل نحو معسكر الشيطان.

المراد من العقل

وانتصار الإنسان في عالم الملكوت طريقه تقوية العقل الذي لا يراد منه ما ذكره المناطقة من إدراك الكلّيات، بل المراد منه، هنا، ما أودعه الله تعالى من نور معنويّ في طبيعة الإنسان، ليعثر بوساطته على الطريق التي توصله إلى كماله، وهذا هو مراد العقل في النصوص الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ، فعن رسول الله ﷺ: «العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل»^(١).

فبالعقل يدرس الإنسان نتائج الأمور، وهو الموجه له نحو كماله من خلال تحديد النتيجة التي تصبّ في مصلحته الواقعيّة، ولعلّ من أفضل ما يعبر عن هذا الدور للعقل ما ورد في وصيّة رسول

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (لا، ط)، (لا، م)، مؤسسة اسماعيليان، (لا، ت)، ج ٢٠، ص ٤٠.

الله ﷻ لمن طلب منه الوصيَّة: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته»^(١).
لذا ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «الروح حياة البدن، والعقل
حياة الروح»^(٢).

فالعقل هو الموجّه نحو الصواب والكمال لا نحو الخطأ والإغواء،
وهذا ما أرشد إليه الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله أحدهم:
ما العقل؟ قال عليه السلام: «ما عبُد به الرحمن، واكتُسب به الجنان،
قيل له: فالذي كان في معاوية، فقال عليه السلام: تلك النكراء وتلك
الشيطنة»^(٣).

إذا إنّ انتصار الإنسان في عالمي الظاهر والباطن يحتاج إلى
جهاد مستمرّ، وهذا ما أكّده النصوص الشريفة كما نلاحظ في ما
سنعرضه بإذن الله.

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٨، ص ١٥٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٧٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق إبراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ١١٦.



دوام السير والسلوك

إنَّ ما تقدّم من ضرورة تواصل جهاد النفس في عالمي الظاهر والباطن أكّدته الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة محذّرة من التهاون في هذا الأمر، فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدنيا كلّها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كلّه حجة إلا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يُختم له»^(١).

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام تأكيده على أنّ محاولات معسكر الشيطان لحرف الإنسان عن مساره المتكامل لا تنقطع حتى تتفصل نفسه عن جسده، فعنه عليه السلام: «ما من أحد يحضره الموت إلا وكلّ به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر، ويشكّكه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه...»^(٢).
والنجاة من هذا الامتحان هي المراد من دعاء العديلة الذي فيه: «اللهم إني أعوذ بك من العديلة عند الموت»^(٣).

(١) الصدوق، محمّد، التوحيد، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، (لا، ت)، ص ٢١٧.

(٢) الكليني، محمّد، الكافي، ج ٢، ص ١٢٣.

(٣) الطوسي، محمّد، مصباح المتعجّد، ص ٥٦٤.

قصص المنزلقين

زخرت النصوص الدينية في قصص بعض الذين كانوا من أهل الإيمان، ثم انزلقوا بعد حين؛ ليكتب لهم سوء العاقبة؛ وذلك لأنهم لم يواصلوا ويستمروا في جهاد أنفسهم، من هؤلاء:

١- إبليس

عن الإمام عليّ عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلا ما كان الله سبحانه ليُدخل الجنة بشراً، بأمر أخرج به منها ملكاً»^(١).

٢- بلعم من باعوراء

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢).

ذكرت أغلب الروايات وأحاديث المفسرين أن هذا الشخص يسمى بـ «بلعم بن باعوراء» الذي عاصر النبي موسى عليه السلام وكان من مشاهير علماء بني إسرائيل، المعروفين بالصلاح والإيمان والتقوى، لكنّه مال نحو فرعون وإغراءاته، فانحرف عن الصواب، وفقد مناصبه

(١) ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ص ٢٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

المعنوية تلك حتى صار بعدئذ في جبهة أعداء موسى عليه السلام ^(١) ولعل كلمة «فانسلك» تعبر عن مدى إيمانه السابق، وتجذره فيه.

٣- برصيصة

ذكر ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) أن المراد بالإنسان في هذه الآية هو عابد بني إسرائيل، قال (رض): إنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه «برصيصة» عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوِّذهم فيبرؤون على يده، وأنه أتى بامرأة في شرف قد جنت، وكان لها أخوة فأتوه بها، فكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها، فأخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا. ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً، فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقي أخاه، فيقول: والله لقد أتاني أت فذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم.... فاستنزلوه، فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقى أختك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك ممّا أنت فيه. قال:

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج ٥، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٦-١٧.

نعم، قال: «اسجد لي سجدة واحدة، فقال: كيف أسجد لك، وأنا على هذه الحالة؟! فقال: اكتفي منك بالإيماء، فأومأ له بالسجود، فكفر بالله، وقُتِلَ الرجل، فأشار الله إلى قصّته في هذه الآية»^(١).

٤- الزبير بن العوام

هو من أصحاب رسول الله ﷺ، وابن عمّته صفية، وابن أخي خديجة، وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق، والحديبية، وخيبر، والفتح، وحنين... وهو أحد الذين ورد أنّهم بايعوا تحت الشجرة، فأُنزل الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢)

وفي مجريات السقيفة كان في جانب الإمام عليّ عليه السلام مع بني هاشم في بيت السيدة فاطمة عليها السلام.

وهو ممّن شهد على وصية السيدة الزهراء عليها السلام، وحضر جنازتها. وكان موقفه في الشورى بعد مقتل عثمان أنّه وهب حقّه للإمام عليّ عليه السلام.

ولكن مع كلّ إيمانه السابق، وجهاده الكبير حرّض في آخر حياته على قتال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان من قادة حرب الجمل في محاربة الإمام عليه السلام.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٨٧.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٨. (ينبغي الالتفات إلى أن رضا الله تعالى في هذه الآية هو من حيثيّة المبايع، وليس رضا مطلقاً على أيّ حال، ففعل المبايعه هذا يستنزل رضا الله تعالى، كحال المصلي مخلصاً بحضور قلب، فإنّ صلاته تستنزل رحمة الله تعالى، إلا أن ذلك لا يعني ضمان الجنة مهما حصل في المستقبل).

المنجيات من سوء العاقبة

- من أسباب ختم حياة الإنسان بحسن العاقبة ما يأتي:
- ١- ثبات العقيدة والإيمان ورسوخهما، وقد تقدّم إشارة الإمام الصادق عليه السلام لهذا الأمر في حديثه عن محاولة إبليس تشكيك المحتضر بدينه فقال: «فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه»^(١).
 - ٢- التضرّع إلى الله والدعاء الدائم بحسن العاقبة وهذا ما علمنا إياه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾^(٢).

قصة معبرة

كان أحمد بن هلال العبرثائي من علماء الشيعة ورواتهم في العراق في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكان معروفاً بالتدين والصلاح، فقد حجّ أربعاً وخمسين حجة، عشرين منها على قدميه. فجأة أرسل الإمام الحسن العسكري عليه السلام كتاباً إلى العراق يذم فيه أحمد بن هلال بقوله: «احذروا الصوفي المتصنع». تعجّب شيعة العراق ممّا صدر عن الإمام عليه السلام، فأرسلوا وفداً يستفسرون عن ذلك، فأكد الإمام عليه السلام على ذمّه والتبرؤ منه، ثم عاودوا السؤال من الإمام عليه السلام فأجابهم: «لا شكر الله قدره، لم يدع ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد إذ هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقراً»^(٣).

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ١٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨.

(٣) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لاط)، بيروت، دار التعارف،

١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٢٠١.

٣- تأدية الصلوات في أوقاتها

فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ في حديثه عن ملك الموت: «إِنَّمَا يَتَصَفَّحُهُمْ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَؤَاظِبُ عَلَيْهَا عِنْدَ مَوَاقِيتِهَا لَقَنَهُ شَهَادَةُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنَحْيَى عَنْهُ مَلِكُ الْمَوْتِ إِبْلِيسَ»^(١).

٤- تسبيح الزهراء ع

عن الإمام الباقر ع: «مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ الزَّهْرَاءِ ع، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غُفْرَ لَهُ، وَهِيَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، وَتَطْرُدَ الشَّيْطَانَ، وَتَرْضَى الرَّحْمَنُ»^(٢).

٥-٦-٧- وصايا الإمام الصادق ع

عنه ع: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَخْتِمَ بِخَيْرٍ عَمَلُكَ حَتَّى تَقْبِضَ وَأَنْتَ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَعِظْ لَكَ اللَّهُ حَقَّهُ: أَنْ تَبْذُلَ نِعْمَاءَهُ فِي مَعَاصِيهِ، وَأَنْ تَغْتَرَّ بِحُلْمِهِ عَنْكَ، وَأَكْرَمَ كُلِّ مَنْ وَجَدْتَهُ يَذْكُرُنَا أَوْ يَنْتَحِلُ مَوَدَّتَنَا، ثُمَّ لَيْسَ عَلَيْكَ صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا، إِنَّمَا لَكَ نَيْتُكَ وَعَلَيْهِ كَذِبُهُ»^(٣).

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢) الصدوق، محمد، ثواب الأعمال، ط ٢، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٨ هـ. ش، ص ١٦٣.

(٣) الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت ع، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ج ١٢، ص ٤١٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٣٥١.



انتصار السالك بأسلحة الخارج

لتحقيق انتصار الإنسان في معركتي الظاهر والباطن هناك منهجان:

المنهج الأول: يعتمد أسلحةً خارجيّة قد تكون فاعلة في لجم قوى الشهوة والغضب والوهم. وهذا ما نلاحظه في الحلول الآتية:

أ- للجم الشهوة تطرح جملة من الأمور منها:

١- الزواج الذي شجعت عليه الشرعية الإسلاميّة بشكل حثيث كما نلاحظ في الأحاديث النبويّة التالية:

«ركعتان يصليهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها غير المتزوّج»^(١).

«ركعتان يصليهما المتزوّج أفضل من رجل عَزَب يقوم ليله ويصوم نهاره»^(٢).

(١) الحرّ العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢٠، ص٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٨.

«المتزوّج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب»^(١).
 «من سرّه أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليلقه بزواج»^(٢).
 كما دعت الشريعة السمحاء إلى تيسير أمور الزواج، وإزالة العقبات من أمام الشبان والشابات لا سيّما في الأمور المادية، فعن الرسول الأكرم ﷺ: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها»^(٣). وعنه ﷺ: «من بركة المرأة خفة مؤونتها...»^(٤).

٢- الابتعاد عن مسببات الشهوة

وقد سنّ الإسلام نظاماً تشريعياً لإبعاد الناس عن الشهوة في غير موضعها من قبيل:

- فرض الحجاب على المرأة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥).
- الأمر بغض النظر بالنسبة إلى غير الزوج والمحارم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٦).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٢١.

(٢) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٤٣.

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، تحقيق بكرى حياني وصفوة السقا، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م، ج ١١، ص ٩٩.

(٤) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ١١٢.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(٦) سورة النور، الآية ٢٠.

• وفي حديث أبي عبد الله عليه السلام: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»^(١).

• النهي عن الميوعة من حديث الناس: قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢).

• تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنيين أي غير الزوجين والمحارم، ففي الحديث: «لا يخلُ بامرأة رجل، فما من رجل خلا بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»^(٣).

٣- ملء أوقات الفراغ، فإن من أسباب تحكم قوة الشهوة هو الفراغ الذي يعيشه الناس في حياتهم، لذا فإن مما يصرف تلك القوة عن الانحراف إشغال الإنسان لنفسه بالعمل لمعيشته، أو بالدراسة، أو بالرياضة، أو بخدمة الناس، أو بالمطالعة...الخ.

وقد حث النبي الأعظم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام على اغتنام عمر الإنسان وعدم تضييعه للوقت، فعن النبي عليه السلام: «يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة، عدد ساعات الليل والنهار، فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً، فينالها عند مشاهدتها من الضرح والسرور ما لو وُزِعَ على أهل النار لأدهشهم عن

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٥، ص ٥٥٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٢.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، تقرير محمد علي التوحيدي، ط ٢، قم، حاجيانى، (لا، ت)، ج ١، ص ٢١٦.

الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربّه، ثم يفتح له خزانة أخرى، فيراها مظلمة منتنة مفزعه، فيناله منها عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنّة لنقص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربّه، ثم يفتح له خزانة أخرى، فيراها خالية ليس فيها ما يسره ولا يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها، أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكّنًا من أن يملأها حسنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾^(١) «^(٢)».

وفي هذا الإطار ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما»^(٣).

٤- ذكر الموت، فعن النبي ﷺ: «أكثر من ذكر هادم اللذات»^(٤).

٥- الصيام، فقد علّل الحديث النبوي الشريف: «لكلّ شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام»^(٥)، بأنّه يقلّل الشهوة^(٦).

(١) سورة التغابن، الآية ٩.

(٢) الحلّي، ابن فهد، عدة الداعي ونجاح الساعي، (لا، ط)، قم، وجداني، (لا، ت)، ص ١٠٣.

(٣) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط ١، قم، دار الحديث، (١٣٧٦هـ)، ص ١٤٤.

(٤) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا عليه السلام، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٧٥.

(٥) الكليني، محمّد، الكافي، ج ٤، ص ٦٢.

(٦) أنظر: الحرّ العاملي، محمّد، الفصول المهمّة في أصول الأئمة، تحقيق محمّد ابن محمّد حسين القائني، ط ١، قم، مؤسسة معارف إسلامي، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٣٣٦.

ب- للجم الغضب تطرح جملة من الأمور منها:

١- تغيير الموقف والهيئة التي يكون فيها الغاضب

فعن الرسول الأكرم ﷺ في حديثه عن الغضب: «... فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً، فإن كان قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فليَنِم...»^(١).

٢- الوضوء بالماء البارد

ورد عن النبي ﷺ: «... إنَّ الغضب من الشيطان، وإنَّ الشيطان خلق من النار، وإنما يطفئ النار الماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ...»^(٢).

٣- السكوت

فعن النبي ﷺ: «إذا غضبت فاسكت»^(٣).

٤- الاستعاذة بالله من الشيطان

ففي الحديث الشريف: «لو قال (أحدكم) إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غضبه»^(٤).

(١) الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ط٢، قم، دفتر انتشارات، (لا، ت)، ج٥، ص٣٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٧٢.

(٤) الراوندي، قطب الدين، الدعوات، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ، ص٥٢.

٥- لصق الخد بالأرض

عن الرسول الأكرم ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَلَّا تَرُونَ إِلَى حَمْرَةِ عَيْنِيهِ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلصِقْ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ»^(١).

٦- مس ذي رحم

عن الإمام الباقر عليه السلام: «...أَيُّمَا رَجُلٍ غَضِبَ عَلَى ذِي رَحْمَةٍ، فَلْيَقِمْ إِلَيْهِ وَلْيَدْنُ مِنْهُ، وَلْيَمْسَسْهُ؛ فَإِنَّ الرِّحِمَ إِذَا مَسَّتِ الرِّحِمَ سَكَتَ»^(٢).

وقفة مع هذا المنهج

إنَّ ما تقدَّم هو جملة من الحلول والعلاجات ذات الأهمِّية، إلَّا أنَّها قد تحصل من دون حصول نتائجها المبتغاة، فقد يتزوَّج الإنسان، ولا تحلُّ مشكلة شهوته، وقد يغيِّر الإنسان موقفه ولا يهدأ غضبه، وهذا لا يقلُّ من شأن وأهمِّية هذه الحلول، إلَّا أنَّها تبقى أسلحة مستقدمة من الخارج، وقد يكون حال القوانين الإلزامية الحاسمة التي يترتب عليها عقوبات، ليلتزم الناس بها، وهذا أمر قد يكون جيِّداً، إلَّا أنَّها قد لا تنفع حينما تُؤمَّنُ العقوبات، كما حصل في نيويورك في الماضي حينما تعطلَّت الشبكات الكهربائية، فكانت النتيجة أنَّ المدينة نُهبَت. من هنا تأتي أهمِّية المنهج الآتي.

(١) الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ٥، ص ٣٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٢٧٢.

المنهج الثاني

وهو ينطلق من إيجاد الحصانة الداخلية للإنسان، والتي من خلالها ينتصر السالك في معركة جهاد النفس.

فأنا حينما أريد أن أحسن تربية ولدي، وأخاف عليه من الفضائيات المضلّة ومواقع الانترنت المنحرفة، فتارة اتّخذ اجراءً بعدم إدخالها إلى المنزل، أو بضبط محطات الفضائيات، والاشتراك ببرامج حماية الأسرة في الانترنت، وهذا الضبط أمر جيّد، إلّا أنّ التربية الأسلم هي حينما أعمل على إيجاد حصانة داخلية لديه تمنعه من دون تدخل خارجيٍّ من فعل الحرام والوقوع في الفساد.

وهذا المنهج الطامح لإيجاد الحصانة الذاتية هو الذي طرحه الإمام الخمينيّ قدس سرّه في كتابه الأربعون حديثاً، والذي سنحاول بإذنه تعالى شرحه فيما يأتي.

الفصل الثاني



برنامج السير والسلوك

إنّ برنامج جهاد النفس يحتاج إلى خطوتين يتبعهما سلوك في مسارات ثلاثة نبيّنها في هذا الفصل.





خطوة العقل: التفكير

قال الإمام الخميني قُذِّبَتْهُ في كتابه «الأربعون حديثاً»: «اعلم أن أول شروط مجاهدة النفس، والسير باتجاه الحق تعالى هو التفكير»^(١).

معنى التفكير

التفكر من الفكر الذي هو عبارة عن تردد ذهن الإنسان بالنظر إلى أمر ما طلباً للمعنى^(٢)، كأن يفكر الإنسان في معادلة رياضية، مثل: 12×4 ، فإنه يتصور هذا الفرض، ثم يرجع إلى ما في ذهنه من معلومات حول جدول الضرب يبحث فيها إلى أن يصل إلى النتيجة. فالملاحظ هنا أنه يوجد تردد بين المجهول، والمعلومات المرتكزة في الذهن، لمعرفة المطلوب. هذا هو الفكر، أما التفكير فهو تصرف القلب وتردده بالنظر إلى الدلائل، فهو بمعنى التأمل.

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٣.

(٢) أنظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ط ١، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٧ هـ، ج ٩، ص ١٢٦.

مدح التفكير

- ورد العديد من الأحاديث تدعو إلى التفكير وتمدح فاعله منها:
- عن الرسول الأكرم ﷺ: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»^(١).
 - وفي حديث نبوي آخر: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»^(٢).

- وعن الإمام عليّ عليه السلام: «نبه بالتفكر قلبك»^(٣).

بماذا نتفكر؟

دعا القرآن الكريم إلى التفكير بأمور عديدة، منها:

١- نظام الخلق الإلهي

بأن نتفكر في:

• السماء

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾^(٤).

• الأرض

يكمل القرآن الكريم الآية السابقة بقوله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٥)، وفي

(١) الحرّ العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ١٩٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٣.

(٣) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٥٤.

(٤) سورة ق، الآية ٦.

(٥) سورة ق، الآية ٧.

آية أخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

• الحيوانات

فمن الإبل قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٢).

قال صاحب تفسير الأمثل: «إنَّ لهذا الحيوان خصائص عجيبة قد تفرَّد بها عن بقية الحيوانات، ويعتبر بحق آية من آيات خلق الله الباهرة. ومن خصائص الإبل:

١ - لو نظرنا إلى موارد الاستفادة من الحيوانات الأليفة، فسنرى أن قسمًا منها لا يستفاد إلا من لحومها، والقسم الآخر يستفاد من ألبانها على الأغلب، وقسم لا يستفاد منه إلا في الركوب، وقسم قد تخصص في حمل ونقل الأثقال، ولكن الإبل تقدّم كل هذه الخدمات (اللحم، اللبن، الركوب والحمل).

٢ - قدرة حمل وتحمل الإبل أكثر بكثير من بقية الحيوانات الأهلية، حتى إنّها لتبرك على الأرض، فتوضع الأثقال عليها، ثم تنهض بها، وهذا ما لا تستطيع فعله بقية الحيوانات الأهلية.

٣ - تتحمل العطش لأيام متتالية (بين السبعة إلى عشرة أيام)، وقابليتها على تحمل الجوع مذهلة.

(١) سورة الرعد، الآية ٣.

(٢) سورة الفاشية، الآية ١٧.

٤ - يطلق عليها اسم (سفينة الصحراء)، لما لها من قابلية فائقة على طيّ مسافات طويلة في اليوم الواحد، رغم الظروف الصحراوية الصعبة، فلا يعرقل حركتها صعوبة الأرض أو كثرة المنخفضات الرملية، وهذا ما لا نجده في أي حيوان آخر وبهذه المواصفات.

٥ - مع أنها تتغذى على أي شوك وأي نبات، فهي تشبع بالقليل أيضاً.
٦ - لعينها وأذنها وأنفها قدرة كبيرة على مقاومة الظروف الجوية الصعبة في الصحراء، وحتى العواصف الرملية لا تقف حائلاً أمام مسيرها.

٧ - والإبل مطيعة وسهلة الانقياد، لدرجة أن بإمكان طفل صغير أن يأخذ بزمام مجموعة كبيرة من الإبل وتتحرك معه حيث يريد.
والخلاصة: إن ما يتمتع به هذا الحيوان من خصائص تدفع الإنسان لأن يلتفت إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

وها هو القرآن ينادي بكل وضوح: يا أيّها الضّالون في وادي الغفلة، ألا تتفكّرون في كيفية خلق الإبل، لتعرفوا الحق وتخرجوا من ضلالكم؟!^(١)

ولا بدّ من التذكير، بأنّ «النظر» الوارد في الآية، يراد به النظر الذي يصحبه تأملٌ ودراسة^(١).

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج ٢٠، ص ١٥٩-١٦٠.

ومن جميل التفكير بالحيوان ما ورد في نهج البلاغة، عن الإمام عليّ عليه السلام: «أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعُظْمَ وَالْبَشَرَ»^(١) انظروا إلى النملة في صغر جُثَّتِها وَلَطَافَةِ هَيْئَتِها، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِها، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِها، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِها، وَتُعِدُّها فِي مُسْتَتَرِّها، تَجْمَعُ فِي حَرِّها لِبَرْدِها، وَفِي وَرْدِها لَصَدْرِها^(٢)، مَكْفُولٌ بِرِزْقِها، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِها، لَا يُغْضِلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرُمُها الدِّيَانُ، وَلَوْ فِي الصِّفَا الْيَاسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ^(٣). وَلَوْ فَكَّرَتْ فِي مَجَارِي أَكْلِها، فِي عُلوِّها وَسُفْلِها، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ بَطْنِها^(٤)، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِها وَأُذُنِها، لَقَضِيَتْ مِنْ خَلْقِها عَجْباً، وَلَقِيَتْ مِنْ وَصْفِها تَعَباً^(٥).

ومن أروع الأحاديث التي فيها تفكر في خلق الله عزَّ وجلَّ ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع أحد المشكِّكين، قال عليه السلام له: «... يَا دَيْصَانِي، هَذَا حِصْنٌ مَكْنُونٌ لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ

(١) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد الإنساني.

(٢) الصدر، محرَّكاً، الرجوع بعد الورد. وقوله «بوقفها» بكسر الواو أي بما يوافقها من الرزق، ويلائم طبعها.

(٣) الجامس: الجامد.

(٤) الشراسيف: مقاطع الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(٥) ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١١٧.

مَائِعَةٌ وَفِضَّةٌ ذَائِبَةٌ، فَلَا الذَّهَبُ الْمَائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذَّائِبَةِ، وَلَا الْفِضَّةُ الذَّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبِ الْمَائِعَةِ، فَهِيَ عَلَى حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلَحٌ فَيُخْبِرُ عَنْ صَلَاحِهَا، وَلَا دَخَلَ فِيهَا مُفْسَدٌ فَيُخْبِرُ عَنْ فَسَادِهَا، لَا يُدْرَى لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثَى، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطُّوَاوَيْسِ، أَتَرَى لَهَا مُدْبِرًا؟! فَاطْرُقْ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ»^(١).

• النبات

قال الله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

• الطعام

• قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٣).

قال صاحب السعادات في حديثه عن الطفل: «ثم تأمل، أيها المتأمل في عجائب حكم ربك: إنه لما كبر الصبي، وضاق عنه الرحم، كيف هداه السبيل إلى الخروج حتى تنكس وتحرك، وخرج من ذلك المضيق، كأنه عاقل بصير، ولما خرج، وكان محتاجاً إلى الغذاء، ولم يحتمل بدنه الأغذية الكثيفة للينه ورخاوته، خلق له

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ١، ص ٧٩.

(٢) سورة النحل، الآية ١١.

(٣) سورة عبس، الآية ٢٤.

اللبن اللطيف، واستخرجه من بين الفرث والدم، خالصاً سائغاً، وخلق الثديين، وجمع فيهما هذا اللبن، وأنبت منهما الحلمة على قدر ما ينطبق فم الصبي، وهدها إلى التقامها، وفتح فيها ثقباً ضيقاً جداً، حتى لا يخرج اللبن إلا بعد المصّ تدريجاً، لأنّ الطفل لا يطيق منه إلا القليل، ثمّ هدها إلى الامتصاص حتى يستخرج من مثل هذا المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع، وأخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين، لأنّه لا يحتاج فيهما إليها لتغذيّه باللبن»^(١).

• الإنسان نفسه

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣).

وقال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

(١) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق محمد كلانتر، (لا،ط)، النجف، دار النعمان،

(لا،ت)، ج ١، ص ١٧٨.

(٢) سورة الروم، الآية ٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٤.

(٤) سورة الروم، الآية ٢١.

٢- التَّفَكُّرُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(١).

٣- التَّفَكُّرُ فِي نِعَمِ اللَّهِ

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٢).

٤- التَّفَكُّرُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٣).

٥- التَّفَكُّرُ فِي ضَعْفِ الْإِنْسَانِ

قال تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٤).

(١) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٢) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

(٤) السورة نفسها، الآية ٢٦٦.

ناتج التفكير

حينما يتفكر الإنسان بقدرة الله عز وجل وعظمته ورحمته ونعمه وتسخير ما في الأرض له، فإنه يتساءل: ماذا يريد الله منه في هذه الحياة؟

أهو أتباع الشهوات التي يكون فيها مثل سائر الحيوانات؟ وهو ما حذر منه أمير المؤمنين عليه السلام عامله على البصرة عثمان ابن حنيف حينما بلغه أنه دُعي إلى مأدعة أحد الأغنياء، فكتب له معاتباً: «فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة، شغلها تقممها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يُراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجرح حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة»^(١).

هل الهدف أن يكون متبعا لشهواته؟

أم أن هناك هدفاً أعلى وغاية أسمى؟ هنا لا بد أن يفكر: هل تقتصر الحياة على هذه الدنيا، أم أن هناك حياة أخرى هي التي تستحق حقاً وصف الحياة كما عبر القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾^(٢)؟ وحياتها إما جنة خلد فيها ما لا عين رأت، ولا خطر قلب بشر، وإما جهنم التي لا يمكن تصوّر عذابها الحقيقي.

(١) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

وحينما يفكر الإنسان بضعفه وعجزه بعد تأمله بكل ما مضى، ومع ذلك بقيت النعم تلاحقه، والرحمة تواكبه، فإن لسانه سينشد دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «سَيِّدِي، أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتُهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتُهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتُهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتُهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي آمَنْتُهُ، وَالْجَائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتُهُ، وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرَوَيْتُهُ، وَالْعَارِي الَّذِي كَسَوْتُهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتُهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتُهُ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتُهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتُهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتُهُ، وَالْمَذْنُوبُ الَّذِي سَتَرْتُهُ، وَالْخَاطِيُ الَّذِي أَقْلَبْتُهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتُهُ، وَالْمُسْتَضَعْفُ الَّذِي نَصَرْتُهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي أَوَيْتُهُ»^(١).

وبعد كل هذه النعم لا بد من التفكير في مقابلتها: «فأثني عليه حامداً، وأذكره مسبِّحاً»^(٢)، أم أعصيه وأنا من أنا، وهو من هو!!!

قصة التائب مع الإمام الحسين عليه السلام

بالتفكير أراد الإمام الحسين عليه السلام، كما ورد في إحدى الروايات، أن يؤثر في عاصٍ بحث عن علاج لمعصيته، فوجد طبيبه أبا عبد الله الحسين عليه السلام، فسأله عن علاج لمعاصيه، فقال عليه السلام له: «إن قبلت مني خمس خصال، فقدرت عليها، لم تضرَّك المعصية...»

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، قم، مكتبة العزبي، ١٣٨٥هـ.ش، ص ٣٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٢.

قال الرجل: جاء الفرج.

قال الحسين عليه السلام: إذا أردت أن تعصي الله عز وجل، فلا تأكل رزقه.

قال الرجل: كيف؟ إذا من أين آكل، وكل ما في الأرض رزقه؟

قال الحسين عليه السلام: أفاحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال الرجل: لا بأس هاتِ الثانية، فربما كانت فرجاً ومخرجاً.

قال الحسين عليه السلام: إذا أردت أن تعصيه، فلا تسكن شيئاً في بلاده.

قال الرجل: يا سبحان الله! هذه أعظم من تلك، فأين أسكن، وله المشرق والمغرب وما بينهما؟

قال الحسين عليه السلام: يا هذا، أيليق بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله، هاتِ الثالثة، فربما كانت أهون الثلاث.

قال الحسين عليه السلام: إذا أردت أن تعصيه، فانظر موضعاً لا يراك فيه، وهناك افعل ما شئت.

قال الرجل: ماذا تقول، ولا تخفى على الله خافية؟

قال الحسين عليه السلام: أتأكل رزقه، وتسكن بلاده، ثم تعصيه، وهو بمرأى منك ومسمع؟

قال الرجل: هاتِ الرابعة، وإلى الله المشتكى.

قال الحسين عليه السلام: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب.

قال الرجل: لا يقبل مني ذلك.

قال الحسين عليه السلام: «أكرهه على القبول».

قال الرجل: كيف، ولا أملك لنفسي معه شيئاً؟!

قال عليه السلام: «إذا كنت لا تقدر أن تدفعه عنك، فُتّب قبل فوات الأوان».

قال الرجل: على أيّ حال بقيت الخامسة، فهاتها.

قال الحسين عليه السلام: «إذا جاء الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى الجحيم، فلا تذهب معهم».

فقال الرجل: «حسبي حسبي، أستغفر الله وأتوب إليه، ولن يراني بعد اليوم في ما يكره»^(١).

خاطب نفسك

يدعو الإمام الخميني قدس سرّه الإنسان العاصي في هذه الدنيا أن يتفكّر ثم يخاطب نفسه قائلاً: «أيتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات، ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، ابحثي عن الرحمة، واستحي من مالك

(١) أنظر: الحسن، هاشم، سيرة الأئمة الاثني عشر، (لا،ط)، قم، الشريف الرضي، (لا،ت)، ج٢، ص ٣٥-٣٦. ورواه عبد الله بن قدامة عن ابراهيم بن أدهم (ابن قدامة، عبد الله، كتاب التوايبن، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (لا،ط)، بغداد، (لا،ت)، ص ٢٨٥.

الملوك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساس المؤدي إلى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبغي تلك السعادة بشهوات أيام قليلة فانية التي لا تتحصل حتى مع الصعوبات المضنية الشاقة».

ثم يعقب قَدَرِيَّيْنِ:

«والأمل أن يهديك هذا التفكير المقترن بنية مجاهدة الشيطان والنفس الأمارة إلى طريق آخر، وتوفّق للترقي إلى منزلة أخرى من منازل المجاهدة»^(١).

الخطوة القلبية: العزم

قال الإمام الخميني قَدَرِيَّيْنِ في «الأربعون حديثاً»: «وهناك مقام آخر يواجه الإنسان المجاهد بعد التفكير، وهو مقام العزم»^(٢). عُرِفَ العزم بتعاريف عديدة تدور حول الإرادة، إلا أنها تضيف إليها أوصافاً كالجزم والصلابة القوية، والتصلُّب، والتصميم^(٣). فبعد ما يتفكّر الإنسان بما ذكرناه سابقاً فإنّ عليه أن يعقد عزمه على تغيير نفسه وتطويع حاله بلا تزلزل، ولا تردد، ولا اضطراب، ولا تساهل.

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) أنظر: العسكري، أبا هلال، الفروق اللغوية، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم، ١٤١٢هـ، ص ٣٥٦. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ط ٢، قم، (لا، ن) (لا، ت)، ج ٢٢، ص ١٢٤. عبد المنعم، محمود، معجم المصطلحات والأنفاظ الفقهية، (لا، ط)، القاهرة، دار الفضيلة، (لا، ت)، ج ٢، ص ٤٩٨.

وبتعبير الإمام قُدْسُ سَمَتُهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْقِدَ الْعَزْمَ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى أَنْ
يَجْعَلَ مِنْ ظَاهِرِهِ إِنْسَانًا عَاقِلًا شَرْعِيًّا، بَحِيثٌ يَحْكُمُ الشَّرْعَ وَالْعَقْلَ،
بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، بِأَنَّ هَذَا الشَّخْصَ إِنْسَانٌ^(١).

يُوضَحُ الْإِمَامُ الْخَمِينِيُّ قُدْسُ سَمَتُهُ الْمَقْصُودَ مِنَ الْإِنْسَانِ الشَّرْعِيِّ هُنَا
بِأَنَّهُ «الَّذِي يَنْظُمُ سُلُوكَهُ وَفَقَ مَا يَتَطَلَّبُهُ الشَّرْعُ، وَأَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ
كَظَاهِرِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ، وَأَنْ يَقْتَدِيَ بِالنَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﷺ،
وَيَتَأَسَى بِهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُ وَمَا
يَتْرُكُ»^(٢).

وَلِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ الْبَعْضُ وَيَسْتَبْعِدُ أَنْ يَحْصَلَ فِي
الْمُؤْمَنِ الْمَجَاهِدِ الْعَادِيِّ يَعْقِبُ قُدْسُ سَمَتُهُ قَائِلًا: «وَهَذَا أَمْرٌ مُمْكِنٌ؟
جَعَلَ الظَّاهِرَ مِثْلَ هَذَا الْقَائِدِ أَمْرٌ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ لِأَيِّ فَرْدٍ مِنْ عِبَادِ
اللَّهِ»^(٣).

كَيْفَ نَصَلَ إِلَى الْعَزْمِ؟

إِنَّ الْوَصُولَ إِلَى عَزْمِ الْإِرَادَةِ يَبْتَدِئُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، ذَلِكَ
أَنَّ التَّفَاعُلَ الْإِخْتِيَارِيَّ لِلْإِنْسَانِ مَعَ الْأَشْيَاءِ يَكُونُ مِنْ خِلَالِ إِدْرَاكِهَا
وَمَعْرِفَتِهَا، وَلَيْسَ عَلَى أَسَاسِ وَجُودِهَا الْوَاقِعِيِّ، فَالْجَالِسُ وَتَحْتَ
مَقْعَدِهِ أَفْعَى سَامَّةً، لَا يَخَافُ، وَلَا يَحْرُكُ سَاكِنًا طَالَمَا هُوَ لَا يَعْلَمُ

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) م. ن.

بوجودها، فإذا علم خاف وتحرك. وكذلك فإنَّ مَنْ لا يعرف قدر الإنسان الذي يجالسه، لا يُؤليه مزيد اهتمام، فقد يكون المؤمن الحاجَّ الطائف حول الكعبة الشريفة يدعو بكلَّ خشوع وحضور قلب أن يريه الله تعالى الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة للإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، ويكون الإمام عليه السلام يطوف إلى جانبه، لكن ذلك الطائف لا يعرفه، فإنَّه لا يتفاعل بذلك، ولو عرفه، لكان مشهد آخر!!

إذا المحرك الأول للإنسان في أفعاله الاختيارية هو علمه ومعرفته بالأشياء.

انطلاقاً من هذا المبدأ أكد الإسلام على ضرورة البناء العلمي في ما يرتبط بكمال الإنسان سواء في الأمور العقيدية أو في القضايا المسلكية، وفي هذا الإطار ركّز الرسول الأكرم عليه السلام على عناوين ثلاثة من العلوم معتبراً أنها أساسية في بناء كلّ إنسان، وذلك في قوله عليه السلام: «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة...»^(١).

والمراد من الآية المحكمة ما يرتبط بالعقيدة التي يعرف من خلالها الإنسان: لماذا خلق؟ وما هو هدفه في هذه الحياة؟ وما هو مصيره الآتي؟ والمراد من السنة القائمة، ما يرتبط بعلم الفقه الذي يحدّده له القوانين التي على أساسها يعبر في سيره وسلوكه

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ١، ص ٢٢.

نحو هدفه المنشود. والمراد من الفريضة العادلة ما يرتبط بعلم الأخلاق الذي يعرفه على ما يناسب النفس من صفات للعبور في ذلك السبيل.

وقد أطلقت الأحاديث الشريفة على هذه العلوم الثلاثة عنوان التفقه في الدين الذي أكد النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام على أهميته ولزوم تحصيله.

فعن الرسول الأكرم ﷺ: «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين»^(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: «لا خير في عبادة ليس فيها تفقه»^(٢).
وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «تفقهوا في دين الله؛ فإن الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة»^(٣).

محور التفقه

من بين موارد التفقه الكثيرة هناك محوران أساسيان لهما دور كبير في توليد العزم واستمراره.

المحور الأول: التفقه في أمور الآخرة المنطلق من هدفية الله في خلقه، وعدم العبثية في فعله، وبالتالي فإن هذه الدنيا المليئة بالمتاعب لا تحقق وحدها هدفاً مناسباً لله الحكيم، إضافة إلى أن

(١) الطوسي، محمد، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ، ص ٤٧٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٤٧.

العدالة الإلهية تقتضي أن تكون هناك حياة يحاسب فيها الظالم على فعله، ويؤخذ للمظلوم حقه، هذا ما يتعرّف عليه العقل، ويؤكدّه النصّ الإلهي، إلّا أنّ تفاصيل ذلك العالم لا يعرفه عقل الإنسان وحده، بل الدين هو المعرّف له، وهنا تأتي أهمية التفقه في شؤون الآخرة ممّا يساهم في صناعة عزم الإنسان على تغيير حاله وتطوير نفسه، لا سيّما أنّ القرآن الكريم قد عرض أحوال الآخرة بما يؤثر كثيراً على تولّد العزم وتعزيزه، بتفصيل لافت يساعد على ذلك. ونعرض هنا بعضاً من ذلك التفصيل:

معالم الجنة

فأخبرنا تعالى عن تفاصيل مذهلة لدار النعيم الأبديّ التي أُعدّت للمتّقين، فماذا تريد أن تعرف عن الجنة؟

١- حجمها؟

يجيب الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١).

٢- بيوتها؟

يجيب الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرَتِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ هُمْ عَنْهَا يَعْرِفُونَ﴾^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّةٍ عِدْنٍ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

٣- أسررتها؟

يجيب الله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ ^(١) و ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ^(٢).

٤- كيف يجلسون على تلك السرر؟

يجيب الله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّقْبِلِينَ﴾ ^(٣) و ﴿سُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ﴾ ^(٤).

٥- فرشها؟

يجيب الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ ^(٥).

٦- حشو تلك الفرش؟

يجيب الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ^(٦).

٧- أبوابها؟

يجيب الله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ^(٧).

٨- شربها؟

- يجيب الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ^(٨).

(١) سورة الواقعة، الآية: ١٥.

(٢) سورة الغاشية، الآية: ١٣.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٤.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٣٤.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

(٧) سورة ص، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٨) سورة محمد، الآية: ١٥.

٩- طعامها؟

- يجب الله تعالى: ﴿وَلَحِيطَ طَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾^(١).

١٠- فاكهتها؟

- يجب الله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ۖ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾^(٢)،

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٣)، «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٤)،
﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾^(٥).

١١- لباسها؟

- يجب الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٦).

١٢- حُلُّها؟

- يجب الله تعالى: ﴿يُحْكَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلَوْلُؤٌ ۖ﴾^(٧).

١٣- الجنس الآخر فيها؟

- يجب الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۖ﴾^(٨) لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسُ

قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۖ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٩).

(١) سورة الواقعة، الآية: ٢١.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١١.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٥٢.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢٣.

(٧) سورة الحج، الآية: ٢٣.

(٨) سورة الرحمن، الآيات: ٥٨، ٧٢، ٧٤.

١٤- خُدَامُهَا؟

- يجب الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

هذا نموذج مما عرضه القرآن الكريم عن معالم الجنة.

معالم جهنم

وكذا حدّثنا القرآن الكريم عن معالم جهنم، فماذا تريد أن تعرف عن جهنم؟

١- وقودها؟

يجيب عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٢- طعامها؟

- يجب عز وجل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ لِلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

٣- شربها؟

- يجب عز وجل: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾، والغساق هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الدخان، الآيات: ٤٣ - ٤٦.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

أهل الزنا، ويجب تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١).

٤- لباسها؟

- يجب عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (٢)، و ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ (٣).

الآخرة بين الاحتمال واليقين

إنّ هذا العرض القرآني الصارخ للجنة والنار لو كان احتمالاً لأوجب على العاقل أن يعمل بما يناسب كونه حقيقة، فكيف إذا كان قطعياً لا شك فيه، فالعلماء يقولون: إنّ الذي يحرك الإنسان في حياته هو قوة المحتمل لا قوة الاحتمال، فمثلاً لو كان الإنسان في جيبه قطعة مالية حقيرة، واحتمل بنسبة ٧٠٪ أنّها وقعت من جيبه فقد لا يكثر هذا الإنسان للأمر ولا يحاول التأكّد من المسألة، لكن لو كان في جيب نفس الشخص «شيك» بمبلغ كبير من المال واحتمل بنسبة ٥٪ أنّه وقع لانتفض مباشرة، وتأكّد من الأمر. ففي الصورة الأولى كان الإحتمال ٧٠٪ لكنّه لم يُحرّك الإنسان، لأنّ المحتمل ضعيف.. وفي الصورة الثانية كان الإحتمال ٥٪ لكنّه حرّك الإنسان، لأنّ المحتمل قويّ.

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٩.

(٣) سورة ابراهيم، الآية: ٥٠.

إذا المحرّك للإنسان هو قوّة المحتمل لا قوّة الإحتمال، فكيف إذا كان المحتمل هو جهنّم التي ورد أنّ نار الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، أطفئت بالماء سبعين مرّة وإلاّ لما أطاقها الناس^(١)، إذا كانت جهنّم إحتماً لكفى بها محققاً للعزم وراعياً عن معصية الله، فكيف إذا كانت يقيناً وجزماً؟!

المحور الثاني: التفقّه في الحكم الشرعيّ، انطلاقاً من كونه تشريعاً صادراً عن الله الغنيّ الذي لا يريد شيئاً لنفسه، والحكيم الذي يهدف إلى الكمال في كلّ فعل، وبالتالي، فإنّ الالتزام بالشرعية قطعاً يحقق كمالنا، حتى لو لم نعرف الأسرار التفصيليّة لكثير من الأحكام، فحالنا في ذلك شبيه بالطفل الذي يوقظه أبواه صباحاً للذهاب إلى المدرسة أو تناول الدواء المرّ بسبب إصابته بمرض، فينزعج؛ لعدم إدراك مصلحته في ذلك، أو ينهاه والداه عن طعام فيه سمّ لا يدري به، فيعترض على نهيهما عن ذلك.

هكذا حالنا مع الله تعالى في أحكامه الشرعيّة التي يريدنا أن نتكامل من خلالها، فنخالفه في ذلك، فتكون النتيجة وبالأعلى.

هل التفقّه يلازم العزم حتماً؟

إنّ التفقّه سبب مهم جداً لحصول العزم، إلّا أنّه لا يجعله حتمياً، فكم من متفقّه في دينه لم يستقم في سلوكه الإيمانيّ، ولهذا أمثال

(١) انظر: شبر، عبد الله، تسليّة النفّاد، (لا ط)، بيروت، مؤسسة الوفاء، (لا ت)، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

كثيرة مرّ بعضها عند حديثنا السابق عن دوام السير والسلوك، ونزيدها هنا قصّة عبيد الله بن الحرّ الجعفيّ (أو الجعفيّ بحسب رواية الطبري)، الذي كان قد ضرب فسطاطاً في منطقة «قصر بني مقاتل» في طريق الركب الحسيني، فأرسل الإمام عليه السلام إليه أحد أنصاره وهو الحجاج بن مسروق الجعفيّ الذي دخل عليه مبشراً بقوله: قد أهدى الله إليك كرامة، فسأل عبيد الله عنها، فأجابه الحجاج: «هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن متّ فقد استشهدت».

فإذا بالجعفيّ يجيب بصراحة: «ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا فيها لا أنصره»^(١).

رجع الحجاج يجيب إمامه بمقولة ابن الحرّ، فإذا بالإمام الحسين عليه السلام يذهب بنفسه إلى عبيد الله ويقول له: «يا ابن الحرّ، فاعلم أنّ الله عز وجلّ مؤاخذك بما كسبت، وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من ذنوب،... أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت»^(٢).

وبعد أن فتح الإمام الحسين عليه السلام لابن الحرّ باباً واسعاً من أبواب الجنة، إذا بعبيد الله يعبر عن ازدواجية بين اعتقاده

(١) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، ط ٢، بيروت، دار المعارف للمطبوعات، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص ١١٥.

(٢) المهديّ البحراني، عبد العظيم، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ط ١، قم، انتشارات شريف الرضي، ١٤٢١ هـ، ص ١٨٦.

ومسلكه، فقال للإمام عليه السلام: «والله إنني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك بالله أن تحملني على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لم تسمح بعدُ بالموت...»^(١).

إنه تعبير واضح عن كون مشكلة هذا المتخلف ليست في المعرفة، فهو يعتقد بأحقّيّة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ من اتبعه كان السعيد في الآخرة، بل مشكلته في أمر آخر نحاول الإضاءة عليه.

لماذا لا تؤدي المعرفة دائماً إلى السلوك الصحيح؟

حينما يتلقّى الإنسان المعرفة سواء بالمشاهدة كما في مشاهدة عصا موسى عليه السلام تتحوّل إلى أفعى، أو بالدليل والبرهان كما في استماع الأدلّة على حقانيّة الإسلام من القرآن الكريم أو من الرسول الأكرم ﷺ نفسه، فإنّ المتلقّي على أنواع:

الأول: لا تترك المعلوم عليه أيّ أثر، إنّما يكون حاله كحال الحاسوب الآليّ الذي زدناه معلومة حاسوبية، وهذا هو حال الكثير من المستشرقين الذين يدرسون الإسلام، ويستوعبون الكثير من عقائده، ومفاهيمه، وقيمه، وقضاياه من دون أن يحدث ذلك فيهم أيّ تأثير.

(١) الدينوري، أحمد، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، ص ٢٥١.

الثاني: قد تؤثر المعلومة في مشاعره، لكنها تقف عند المشاعر، ولا تتخطاها نحو السلوك، ولعلّ الكثير من أهل الكوفة الذين لم يناصروا الحسين عليه السلام كانوا من هذا النوع، وهم الذين عبّر عنهم الفرزدق بقوله للإمام الحسين عليه السلام: قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

الثالث: هو الذي تؤثر المعلومة في مشاعره، وينتقل الأثر إلى سلوكه، وهذا النوع هو المقصود في البحث عن المعرفة التي تجعل الإنسان عازماً، وبالتالي سالكاً، فما الذي حصل عند هذا الإنسان؟ وكيف تحوّلت المعرفة عنده إلى سلوك؟

يجيب الإمام الخميني قدس سرّه: إنّ المعرفة تتحوّل إلى سلوك حينما يكتبها العقل بقلمه على لوح القلب، أي تتحوّل المعرفة من معرفة عقلية إلى معرفة قلبية.

إنّ الإمام قدس سرّه يتحدث عن ثلاثة عناصر في هذا التحوّل هي:

١- الراسم وهو العقل، أي أنّ العقل هو صاحب السلطة على الرسم والصورة، وليس الغضب أو الشهوة أو الوهم.

٢- اللوحة التي يرسم عليها، وهي القلب، فتتفاعل المشاعر مع النظرية والفكرة.

٣- الرسم أو الصورة، فهي تختلف عن الصورة عند النوعين الأول والثاني المتقدمين؛ لأنّها صورة من قلم نور الحقيقة على لوح نوراني، فلا تضليل فيها، ولا تدليس، ولا تشويه، أي إنّ الشيطان

لا يتدخل في تغييرها، كما هو عمله المعهود، فتبقى الصورة على حقيقتها.

وما ذكرناه يوضح لنا سبب عدم انحراف الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ومن لحق بهم من الأولياء، فهم يرون الأشياء على حقيقتها بدون تشويه، فيرون الطاعة جميلة فيندفعون إليها، والمعصية قبيحة فينفرون منها، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئْسَ وَهْمٌ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ^(١)، أي لولا مشاهدته البرهانية الربانية لهم عليهم السلام بها، أي لولا مشاهدته المعصية على واقعها القبيح لهم بها، فهو عليه السلام لم يهّم لقباحة المشهد الذي قد يراه الكثير جميلاً.

كيف نرى الصورة على واقعها؟

إن رؤية صور الأشياء على حقيقتها وواقعها يحصل من خلال أحد الأمور الآتية:

١- المعرفة القطعية التامة

لتوضيحها اضرب مثالا: لو سألني أحد المؤمنين عن حكم مصافحة المرأة الأجنبية، فسأقول له: إن ذلك، في الأصل، حرام غير جائز، وهنا قد يعاود السؤال عن الحكم نفسه مضيفاً حرجة الموقف أمام الآخرين، فهو سيذهب لمقابلة مديرة شركة يريد أن

(١) سورة يوسف، الآية ٢٤.

يتوظف فيها، وفي حال لم يصافحها، فإنّ ذلك سيؤثر في توظيفه فيها. لذا قد يحاول هذا المؤمن جاهداً أن يصل إلى جواب يفيد حليّة المصافحة.

وهنا افترض مشهداً آخر في هذا المؤمن نفسه، بعد ما دخل إلى تلك الشركة، فمدّت تلك المديرة يدها للمصافحة، لكنه علم أنّ في يدها الجمرة الخبيثة التي تسبّب موت من تنتقل إليه، فهل يصافحها حينئذٍ؟ هل يفكر في حراجه الموقف، أم يكون صارماً في عدم مصافحتها؟ ما الفرق بين هذا المشهد وما سبقه؟ أليس هو أنّه هنا لديه معرفة قطعيّة تامّة أوجدت فيه هذا العزم؟ ألا يدلّ هذا الأمر على أنّ هناك مشكلة تتعلّق بدرجة عقيدته بالحكم الشرعيّ في المشهد الأوّل؟

٢- التربية المُحكّمة

نلاحظ في أحوال المؤمنين، بشكل عامّ، أنّ قوة الشهوة ورفيقيّتها لا تتغلّب على قوّة العقل في بعض الأمور التي تعزّرت فيها التربية منذ نعومة الأظفار، وهذا يحصل مع غير المؤمنين أيضاً في حال وجود هذا النوع من التربية، ولنضرب لذلك مثالين:

الأوّل: أنّ الإنسان الذي تربّى منذ الصغر على الثقافة الخاصّة في العلاقة مع المحارم (الأمّ، الأخت، البنت، العمّة، الخالة...)، نراه عادة لو شاهد إحدى محارمه كأُمّه في لباس قد يسبّب إثارة

كثير من الناس، لكنّه هو لا يتأثر بذلك، والسبب هو أنّ ثقافة العلاقة بالمحارم هي ثقافة قويّة محكمة لديه.

الثاني: لو أنّ مؤمناً كان جائعاً، فمرّ في شارع تفوح منه رائحة شواء لحم خنزير على الفحم، فهل تشتهيّه نفسه، أو يشمئزّ من ذلك؟

إنّ المؤمن الذي تربّى تربية قويّة على حرمة أكل لحم الخنزير، تصبح عنده صورة الخنزير ورائحة شوائه قبيحة، لذا لا تتحرّك نفسه في اشتهاؤه.

إنّ هذين المثالين يؤشّران إلى أنّ الإنسان حينما يربّي نفسه تربية قويّة على رؤية أشياء قبيحة، مثلاً، فإنّه يصل إلى ذلك، وبالتالي، يوجب ذلك لديه منعة من فعلها.

٣- الحبّ الصادق

إنّ المحبّ حبّاً صادقاً قد يصل في حبّه إلى مرحلة لا يفعل أيّ فعل يؤدّي إلى غضب حبيبه ومعشوقه، قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه

هذا العمرك في الفعّال بديع

لو كان حبّك صادقاً لأطعته

إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع^(١)

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢٤.

معززات العزم

مما يعزز العزم ويقويه أمور منها:

١- دوام التفكير؛ فإنه يساعد على تصويب مسار الإنسان لتحقيق هدف خلقه.

٢- مخالفة الهوى، قال الإمام الخميني قدس سره: «أفضل علاج لدفع هذه المفسدات الأخلاقية هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كل واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، و...تعزم على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة»^(١).

٣- الطلب الدائم للعلم النافع الذي تقدم الحديث عنه في العلوم الثلاثة، فإن ذلك يذكر الإنسان بهدفه من هذه الحياة مما يقوي عزمه في سلوكه.

٤- المواظبة على قراءة القرآن الكريم، فإنه جامع لما يذكر بلزوم دوام العزم.

٥- الدعاء الدائم لله تعالى أن يواكبه في سلوكه وسيره.

٦- التوسل بالرسول الأكرم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، قال الإمام الخميني قدس سره: «واستشفع برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته حتى يفيض ربك عليك، ويمسك بيدك في المزالق التي تعترضك»^(٢).

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

- ٧- الاهتمام بالعبادات لا سيّما الصوم، فإنّه يقوّي الإرادة.
- ٨- الاستماع إلى المواعظ.
- ٩- مجالسة العلماء الذين يذكّرون بالله تعالى.
- ١٠- الحضور في بيوت الله عزّ وجلّ.
- ١١ - ذكر الموت. ففي الحديث عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا جَلَاؤُهَا؟ قَالَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ»^(١).

مِمَّا يُضْعَفُ الْإِرَادَةُ

إِنَّ التَّأَمُّلَ بِمَعْرَزَاتِ الْعِزْمِ السَّابِقَةِ يَضِيءُ لَنَا عَلَى مَا يَضْعُفُهُ، وَالَّذِي يَقَعُ عَلَى رَأْسِهِ التَّجَرُّؤُ عَلَى الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهُ، بِتَعْبِيرِ الْإِمَامِ الْخَمِينِيِّ قَدْ سَلَّمَ، «يَفْقَدُ الْإِنْسَانُ تَدْرِيجًا الْعِزْمَ، وَيَخْتَلِفُ مِنْهُ هَذَا الْجَوْهَرُ الشَّرِيفُ»^(٢).

وَيُؤَكِّدُ الْإِمَامُ قَدْ سَلَّمَ نَقْلًا عَنْ أَسْتَاذِهِ الشَّاهِ آبَادِي بِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَسَبِّبُ فَقْدَانَ الْعِزْمِ أَوْ الْإِرَادَةَ هُوَ اسْتِمَاعُ الْغِنَاءِ^(٣).

(١) الطبرسيّ، حسين، مستدرك الوسائل، ج٢، ص ١٠٤.

(٢) الخمينيّ، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.



السلوك الساتر: ترك المعصية

تقدّم أنّ من أراد أن يسلك إلى الله تعالى ليحقق هدف وجوده فعليه أن يخطو خطوتين:

الأولى: خطوة العقل، وهي التفكير.

الثانية: خطوة القلب، وهي العزم أن يصبح إنساناً عاقلاً شرعياً، بحسب تعبير الإمام الخميني قدس سرّه.

وهنا يأتي السؤال: كيف يصبح السالك إنساناً عاقلاً شرعياً؟ والجواب يكمن في ناتج التفكير المنتج للعزم، والذي يؤدي بالتفكير أن يبدأ تصحيح الماضي من خلال العودة والتوبة إلى الله تعالى.

لا سلوك بدون توبة

إنّ طريق الله تعالى لا تفتح أمام السالك إليه من دون توبة، وهذا ما أكّدته نصوص عديدة، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام من أنّ كليم الله موسى عليه السلام مرّ برجل من أصحابه وهو ساجد، وانصرف وهو ساجد، فقال له موسى عليه السلام: «لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه، يا موسى، لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلته، حتى يتحوّل عن ما أكره إلى ما

أحبّ^(١). وما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «أوحى الله إليّ: أن يا أخا المندرين، يا أخا المرسلين، أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة؛ فإنني ألعنه ما دام قائماً يصلّي حتى يردّ تلك المظلمة»^(٢).

التوبة مضمونة الستر

إنّ ما عمله الإنسان في ماضيه يسجّله الله تعالى في توثيقات عديدة يصعب التخلص منها:

التوثيق الأوّل: كتابة الملكين الشاهدين

يقول الله تعالى: ﴿إِذْ نَلَقْنَا الْمُتْلِقَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٣).

التوثيق الثاني: حفظ الجوارح

يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤).

ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥).

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٨، ص ١٢٩.

(٢) الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ٢، ص ٣٠١.

(٣) سورة ق، الآيتان: ١٧-١٨.

(٤) سورة يس، الآية ٦٥.

(٥) سورة فصلت، الآية ٢١.

التوثيق الثالث: تسجيل الأرض

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۚ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ (٤)﴾. (١).

السؤال: كيف يتخلص الإنسان من هذه التوثيقات؟

الجواب: هناك ثلاثة مخارج:

الأول: رحمة الله تعالى المباشرة، وهي مأمولة لكنها غير مضمونة؛ يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ (٢).

الثاني: الشفاعة، وهي موجوة لكنها غير مضمونة؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَبَرُّضٍ ۚ﴾ (٣)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ۚ﴾ (٤).

الثالثة: التوبة، وهي مضمونة بنص القرآن الكريم، وذلك حينما يكون الذنب عن غير عناد، بل عن جهالة، وتكون التوبة من قريب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ۚ﴾ (٥).

إن كلمة «على» تفيد معنى الوجوب، فالله تعالى لا يجب منه عقلاً أن يقبل توبة العبد، لكنه، بمنه، يخبرنا في هذه الآية أنه أوجب على نفسه قبول التوبة.

(١) سورة الزلزلة، الآيات ١-٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٣) سورة النجم، الآية ٢٦.

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية ١٧.

مفعول التوبة

إنَّ نتيجة التوبة بحسب القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هي المغفرة والستر على الإنسان في الدنيا والآخرة، وبالتالي، فإنَّ الله تعالى يعطلُّ مفعول تلك التوثيقات يوم القيامة، وهذا ما نصَّ عليه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع صاحبه ابن وهب حينما قال عليه السلام له: «إذا تاب العبد توبة نصوحًا أحبه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة. فقال ابن وهب: وكيف يستر عليه؟ قال عليه السلام: يُنسى ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، ثمَّ يُوحي إلى جوارحه: أُكتمى عليه ذنوبه، ويُوحي إلى بقاع الأرض، أُكتمى عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حينما يلقيه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»^(١).

التوبة تفتح طريق الحبِّ الإلهيِّ

قد أخطئ معك، فأعتذر إليك، فَتَقَبَّلُ اعتذاري، ثمَّ أخطئ مرَّة ثانية، فأعتذر ثانية، فتقبل اعتذاري، ثمَّ أخطئ مرة ثالثة، فأكرِّر اعتذاري، فقد تُكرِّر قبول الاعتذار، لكن إذا تكرر خطئي عشرين، ثلاثين، أربعين... مرة، فإن قبلت اعتذاري تكن ذا أخلاق عالية، إلَّا أنَّ نداء الكثيرين سيكون: كلا، لا تقبل اعتذاره؛ إنَّه لا يستأهل ذلك، فقد تكرر خطؤه كثيرًا.

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثًا، ص ٢٥٦.

ونحن في علاقتنا بالله تعالى نعصي، فنتوب، ثم نعصي، فنتوب، ثم نعصي، فنتوب، ثم نعصي، فنتوب، ويتكرر منا ذلك عشرات، بل مئات المرّات، ترى هل يقبل الله عزّ وجلّ توبتنا؟
المفاجئ في جواب الله تعالى في القرآن الكريم هو أنّه لم يقل: **إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ اعْتِذَارَ التَّائِبِينَ**، بل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(١)، وفي الإطار ذاته ورد عن النبي ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضالّ الواجد، ومن الظمآن الوارد»^(٢).

معنى التوبة

يعرّف الإمام عليّ عليه السلام التوبة بقوله: «التوبة ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود»^(٣). فلكي يتوب الإنسان إلى الله عليه أن يحقق أربعة أمور:

الأول: أن يشعر بالندم من صميم قلبه.

الثاني: أن يحرك لسانه، ليتفاعل مع قلبه بالاستغفار.

الثالث: أن يترك الحرام الذي سجّله الأرض، وكتبته الملائكة وحفظته الجوارح.

الرابع: أن يصمّم تصميمًا جادًا وحازمًا على أن لا يعود إلى المعصية.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٣) الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ١٢٧.

زمن قبول التوبة

برحمة الله، وحبّه لعباده فتح لهم باب التوبة إلى زمن علمهم بموتهم، فعن الرسول الأكرم ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال ﷺ: إن السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال ﷺ: إن الشهر لكثير، من تاب قبل بموته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال ﷺ: إن الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال ﷺ: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»^(١). أمّا من يتوب عند معاينة الموت فإنه يكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَكُنَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢).

ولكن من يعرف متى سيموت؛ يؤجل التوبة إلى قبيل ذلك؟!

برنامج التوبة

ورد في نهج البلاغة أنّ قائلاً: «شكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟

الاستغفار درجة العليين. وهو اسم واقع على ستة معان:

(١) أنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت)، ج ٢، ص

٢٠٦. الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١٨.

أوّلها: الندم على ما مضى.

الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

الثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله
أملس ليس عليك تبعة.

الرابع: أن تعتمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها، فتؤدّي حقّها.

الخامس أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت، فتذيبه
بالأحزان حتى تُلصقَ الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

السادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة
المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»^(١).

المعنى الأوّل (الندم) والثاني (العزم) تقدّما في معنى التوبة،
والمعنى الرابع (تذويب اللحم) فهو مختصّ بمن نبت لحمه على
المال الحرام الذي هو معنى السحت، أمّا المعنيان الثالث والرابع
فهما اللذان يشكّلان البرنامج العمليّ الذي على أساسه ينبغي للتائب:
١- أن يقوم بعملية إحصاء لحقوق المخلوقين لديه، كالمال الذي
سرقه منهم، أو احتجزه ومنعهم عنهم، أو ما يقابل الاعتداء
المادّي على أموالهم، كما لو كان قد كسر زجاجاً أو أضرّ بسيارة
وما شابه ذلك، وبعد هذا الإحصاء يعمل لإيفائهم تلك الحقوق،
وفي حال عدم امكانيّة ايصالها إليهم يدفعها -عبر الحاكم
الشرعيّ بحسب بعض الفقهاء- إلى الفقراء بعنوان ردّ المظالم.

(١) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٩٨.

٢- أن يقوم بعملية إحصاء لحقوق الله التي لم يؤدّها كالصلوات اليومية، والصيام، والخمس، والزكاة، والكفّارات وما شابه. وقد شرحنا في تفصيل ذلك في كتابنا «كيف ترجع كما ولدتك أمك»^(١).

يبقى المعنى السادس الأخير الذي يرشد التائب أن يلتفت إلى مواءمة نوعية التوبة مع حجم الذنب المقترف، فالذنب الكبير يحتاج إلى إذابة الجسم ألم الطاعة كما ذاق حلاوة المعصية. عند ذلك تتحقّق التوبة النصوح ويحقّ للتائب أن يقول: أستغفر الله.

المشاركة والمراقبة والمحاسبة

طرح علماء الأخلاق برنامجاً يومياً للسائر إلى الله تعالى يفيد في اتمام شروط التوبة وتحسينها، وذلك من خلال برنامج يوميّ، يُحاول فيه السالك أن يقف من نفسه موقف الشريك الذي لا يطمئن إلى عمل شريكه، فيسلك معها خطوات الشريك الحريص على أن يربح شريكه، ولا يوقعه في الخسارة. ألا يتبع الشريك في هذه الحال مع شريكه الخطوات الآتية:

- ١- يشترط عليه شروطاً للنجاح في العمل.
- ٢- يراقبه في تنفيذ تلك الشروط.
- ٣- يحاسبه بشكل دوريّ، ليعرف نتيجة ذلك.

(١) بركات، أكرم، كيف ترجع كما ولدتك أمك، بيروت، بيت السراج للثقافة وال نشر.

وفي ضوء ذلك يقرّر كَيْفِيَّةُ التصرّف كمعاتبته أو معاقبته. شبيهه ما تقدّم هو برنامج السائر إلى الله عزّ وجلّ في تزكية النفس، فإنّه يشارطها، ثمّ يراقبها، ثمّ يحاسبها. وهذا ما نوضحه في الآتي.

١- المشاركة

وهي تعني أن يشارط الإنسان نفسه في بدء يومه بعد الفجر، أن لا يرتكب المعصية في ذلك اليوم، قال الإمام الخميني قدس سرّه: «واضح أن ترك ما يخالف أوامر الله، ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان ببسر أن يلتزم به، فاعزم وشارط وجرب وانظر كيف أن الأمر سهل يسير.

ومن الممكن أن يصوّر لك إبليس اللعين وجنده أن الأمر صعب وعسير، فأدرك أن هذه من تلبيسات هذا اللعين، فalcنه قلباً وواقعاً، وأخرج الأوهام الباطلة من قلبك، وجرب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدّق هذا الأمر»^(١).

٢- المراقبة

بعد المشاركة يبدأ الإنسان بمراقبة نفسه التي أمر بها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾^(٢)، وأكد عليها الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «إنّ على لسان

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٦.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٨.

كُلَّ قَائِلٍ رَقِيبًا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ الْعَبْدَ، وَلْيَنْظُرْ مَا يَقُولُ»^(١).
وعنها ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَتَعَاهَدِ
النَّقْصَ مِنْ نَفْسِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الْهَوَى، وَمَنْ كَانَ فِي نَقْصٍ، فَالْمَوْتُ
خَيْرٌ لَهُ»^(٢).

وكيفية المراقبة، كما يقول الإمام الخميني قدس سره: «أَنْ تَنْتَبِهَ طَوَالَ
مُدَّةِ الْمَشَارَاطَةِ إِلَى عَمَلِكَ وَفَقْهًا، فَتَعْتَبِرَ نَفْسَكَ مَلْزَمًا بِالْعَمَلِ وَفَقْ
مَا شَارَطْتَ، وَإِذَا حَصَلَ - لَا سَمَحَ اللَّهُ - حَدِيثٌ لِنَفْسِكَ بِأَنْ تَرْتَكِبَ
عَمَلًا مُخَالِفًا لِأَمْرِ اللَّهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَجَنْدِهِ،
فَهُمْ يَرِيدُونَكَ أَنْ تَتَرَجَعَ عَنْ مَا اشْتَرَطْتَ عَلَى نَفْسِكَ، فَالْعَنَهُمْ
وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ، وَأَخْرِجْ تِلْكَ الْوَسَاوِسَ الْبَاطِلَةَ مِنْ قَلْبِكَ،
وَقُلْ لِلشَّيْطَانِ: إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَقُومَ فِي هَذَا الْيَوْمِ
- وَهُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ - بِأَيِّ عَمَلٍ يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ، وَهُوَ وَلِيَّ نِعْمَتِي طَوَلَ
عُمُرِي، فَقَدْ أَنْعَمَ وَتَلَطَّفَ عَلَيَّ بِالصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ، وَالْأَمْنِ وَالْطَّافِ
أُخْرَى، وَلَوْ أَنِّي بَقِيتُ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ لَمَا أَدَيْتُ حَقَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهَا، وَعَلَيْهِ، فَلَيْسَ اللَّائِقُ أَنْ لَا أَفِي بِشَرَطٍ بَسِيطٍ كَهَذَا»^(٣).

ويؤكد الإمام قدس سره أَنَّ الْمُرَاقَبَةَ لَا تَتَعَارَضُ مَعَ أَيِّ مِنْ أَعْمَالِ
الْإِنْسَانِ كَالْكَسْبِ وَالسَّفَرِ وَالدراسة وغير ذلك^(٤).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٧٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٦٤.

(٣) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٦.

(٤) المرجع السابق نفسه.

٣- المحاسبة

وبعد المراقبة تأتي محاسبة النفس، وهي: «أن تحاسب نفسك لترى هل أديت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية، إذا كنت قد وفيت حقاً، فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنيائك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه»^(١).

وقد ورد العديد من الأحاديث الداعية إلى محاسبة النفس، منها:

عن الرسول الأكرم ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر»^(٢).

وعن أبي الحسن عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنًا استزاد الله، وإن عمل سيئًا استغفر الله منه وتاب إليه»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن أهل الذكر: «...وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم عن كل صغيرة وكبيرة أمروا بها، فقصّروا عنها، أو نهوا عنها، ففرطوا فيها...»^(٤).

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٧٣.

(٣) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٤) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢١٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنَّ في القيامة خمسين موقفًا، كلُّ موقف مقام ألف سنة ممَّا تعدُّون، ثمَّ تلا هذه الآية: (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة)»^(١).

نصيحة الإمام الخميني قدس سره

«واظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحوَّل إلى ملكة فيك، بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلاً ويسيراً للغاية، وستحسَّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات، في حين أنَّ هذا العالم ليس هو عالم الجزاء، لكن الجزاء الإلهي يؤثر ويجعلك مستمتعاً وملتذداً بطاعتك لله وابتعادك عن المعصية.

واعلم أنَّ الله لم يكلِّفك ما يشقُّ عليك به، ولم يفرض عليك ما لا طاقة لك به، ولا قدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصوِّرون لك الأمر وكأنه شاقَّ وصعب، وإذا حدث -لاسمح الله- في أثناء المحاسبة تهاوناً وفتوراً تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله، واطلب العفو منه، واعزم على الوفاء بكلِّ شجاعة بالمشاركة غداً، وكن على هذه الحال كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانية»^(٢).

(١) المفيد، محمَّد، الأمالي، تحقيق حسين الاستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٧٤.

(٢) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٧.



السلوك الماحي: الصلاة

تقدّم أنّ ناتج التوبة إلى الله تعالى هو ستر الذنوب الذي يتحقّق من خلال تدخل إلهيّ بإسكات الشهود على ذنوب الإنسان يوم القيامة، كما ورد في الرواية السابقة عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي دلّت بشكل واضح على أنّ مفعول التوبة يقتصر على ستر الذنوب بدون أن يتعدّها إلى محوها.

لكن هناك ما دلّ على وسيلة لمحو الذنوب أرشد إليها أمير المؤمنين عليه السلام في رواية تنقل لنا مشهداً حوارياً بينه وبين الناس حينما سألهم: «آية آية في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾»^(١)، قال عليه السلام: حسنة، وليست إياها، وقال بعضهم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾»^(٢)، قال عليه السلام: حسنة، وليست إياها، فقال بعضهم: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾»^(٣)، قال عليه السلام: حسنة، وليست إياها، وقال بعضهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ﴾»^(٤)، قال: حسنة وليست إياها. ثم أحجم الناس

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٠.

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

فقال ﷺ: ما لكم يا معشر المسلمين؟ قالوا: لا والله ما عندنا شيء قال ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١)، وقال: يا علي، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفصل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه. فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عدّ الصلوات الخمس، ثم قال ﷺ: يا علي، إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم، فما ظن أحدكم لو كان في جسده درن، ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله، الصلوات الخمس لأمتي^(٢).

إذا رجَّح الإمام عليّ ﷺ آية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٣)، في موضوع الرجاء الأعلى، على الآيات التي تفيد المغفرة، لكون الغفران يعني الستر، بينما يذهب تعني يمحين، وبما أنّ المراد من الحسنات الصلاة، بقرينة صدر الآية، فالصلاة ماحية للذنوب، في حين كانت التوبة ساترة لها.

شرط الصلاة الماحية

قيّدت الآية إقامة الصلاة بزمانٍ هو طرفا النهار، وزلفاً من

(١) سورة هود، الآية ١١٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢٢٠.

(٣) سورة هود، الآية ١١٤.

الليل، وزلف جمع زلفى كُرب جمع قُربى، ولا يقتصر الأمر على المشابهة اللفظية، بل قيل: إنهما بمعنى واحد، بما يفيد طلب الصلاة في ساعات من الليل هي أقرب من النهار^(١).

وقد فسّر الإمام الباقر عليه السلام الزلف من الليل بأنها: «صلاة العشاء الآخرة»^(٢)، ممّا يعني أنّ الآية شاملة لجميع الصلوات الخمس، بدءاً من صلاة الصبح التي تقع طرف النهار الأول، مروراً بصلاتي الظهر والعصر، واستمراراً بصلاة المغرب التي تقع في الطرف الأخير من النهار، وعليه فإن إقامة الصلاة المأحية للسينات هي المراعية لأوقات الصلاة.

الصلاة في أول الوقت

وقد حثّ الأحاديث الشريفة على إقامة الصلاة في أوقاتها باعتبار ذلك من محققات الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣)، فعن الرسول الأكرم عليه السلام في حديثه المتقدم عن ملك الموت: «إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ونحى عنه ملك الموت إبليس»^(٤).

وعن النبي عليه السلام: «ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج ١١، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٩.

(٤) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ١٣٦.

الشمس إلا ضمنت له الروح عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار»^(١).
وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن الصلاة في الأوقات بكل ركعة ألف ركعة».

الصلاة في حضور القلب

لم تشر آية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢) السابقة إلى هذا الشرط، لكنه ورد في الحديث النبوي الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام تعقيباً على تلك الآية، وذلك بقوله عليه السلام: «إذا استقبل الله بوجهه وقلبه»^(٣)، وقد أكدت الأحاديث الشريفة على أهمية حضور القلب في الصلاة وثوابه وكرامته، فعن الرسول الأكرم عليه السلام: «يا أبا ذرّ، ركعتان مقتصدتان في تفكّر، خير من قيام ليلة، والقلب ساه»^(٤).
وعنه عليه السلام: «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدّم من ذنبه»^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أحرمت في الصلاة، فأقبل عليها؛ فإنّك إذا أقبلت أقبل الله إليك، وإذا أعرضت أعرض الله

(١) المفيد، محمّد، الأمالي، ص ١٣٦.

(٢) سورة هود، الآية ١١٤.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢٢٠.

(٤) الحرّ العاملي، محمّد حسن، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٤.

(٥) الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ١، ص ٣٤٩.

عنك، فربما لا يُرفع من الصلاة إلاّ الثلث أو الربع أو السدس، على قدر إقبال المصلي على صلاته، ولا يُعطي الله الغافل شيئاً»^(١).
وعن الصادقين (عليه السلام): «ما لك في صلاتك إلاّ ما أقبلت عليه فيها، فإن أوهمها كلها، أو غفل عن أدائها لفت، فضرب بها وجه صاحبها»^(٢).

وكان رسول الله ﷺ النموذج الأوّل في حضور القلب، فعن بعض زوجاته: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضر وقت الصلاة لم يعرفنا، ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شيء^(٣).
وقد اقتدى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأستاذه الأعظم ﷺ في ذلك، فقد ورد أنّه أهدي إلى رسول الله ﷺ ناقتان عظيمتان، فجعل إحداهما لمن يصلي ركعتين لا يهمل فيهما بشيء من أمر الدنيا، فلم يجبه أحد إلاّ عليّاً (عليه السلام)، فأعطاه كلتيهما^(٤).
ومن سيرة الأمير (عليه السلام) أنّه لما وقع في إحدى الحروب النصل في قدمه، ولم يتمكنوا من إخراجّه، قالت لهم السيدة فاطمة (عليها السلام): «أخرجوه في حال صلاته، فإنه لا يحسّ بما يجري عليه حينئذٍ»، فأخرج وهو (عليه السلام) في صلاته^(٥).

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٤١، ص ١٨.

(٥) الكاشاني، الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ١، ص ٣٩٨.

كيف يحضر القلب في الصلاة؟

حينما أهتمُّ بأمر إنسانٍ، فأُتحدَّثُ معه، ألاحظُ أنني أفكرُ في كلماتي من ناحيةٍ إيضاحٍ ما أريدُ بشكلٍ مفهومٍ لديه، وحينما يتحدَّثُ إليّ، فإنّي أصغي إلى كلماته بإنصاتٍ، لأفهمها بشكلٍ صحيحٍ، وكذلك أتوجّهُ بملامحي ولغةٍ جسديٍ إليه، لأبدي له من خلال ذلك مدى اهتمامي، وكلّما كان هذا الإنسان مهمًّا بالنسبة لي، كلّما فكّرتُ أكثر بكلماتي، وأنصتُ أحسن إلى كلماته، وعبرتُ أفضل بلغةٍ جسديٍ. إنّ هذه الحالة التي اتّصفت بها في هذا المثال يمكن أن يطلق عليها حضور قلب. فقلبي حينما أتحدّث إلى الإنسان الذي أهتمُّ به يكون حاضرًا.

هذا النوع من الحضور هو أدنى ما يُطلب في الصلاة، مع أنّنا، وللأسف، وفي أكثر أحوالنا يكون حضور قلوبنا في الصلاة في حالة هي أقلّ من المثال السابق. مع أنّنا نقف أمام الجليل الأعلى.

نرجع إلى السؤال كيف نحقق حضور القلب في الصلاة؟

١- إنّ أساس ذلك يكمن في استحضار أنّنا نقف بين يدي الله عزّ وجلّ الذي كلّما زدنا معرفة حقيقية به، كلّما قوي حضور قلوبنا في الصلاة إليه.

٢- إنّ ما يساعد على حضور القلب أثناء الصلاة هو تفهيمه أهميّتها ومكانتها وعظمتها التي أشارت إليها العديد من الروايات الشريفة، منها:

- عن الرسول الأكرم ﷺ: «ولیکن أكثر همّك الصلاة؛ فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»^(١).
- وعنه ﷺ: «لکل شیء وجه، ووجه دینکم الصلاة، فلا یشینن أحدکم وجه دینه»^(٢).
- عن الإمام الصادق علیه السلام: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخر وصایا الأنبياء»^(٣).
- وعنه علیه السلام: «ما من شیء بعد المعرفة یعدل هذه الصلاة»^(٤). وكذلك تفهیم القلب الثواب العظیم الذي ینتظر المصلّي في الصلاة التي یریدها الله تعالى، والذي قاربته العديد من الأحادیث، منها:
- عن الإمام علیّ علیه السلام: «لو یعلم المصلّي ما یغشاه من جلال الله ما سرّه أن یرفع رأسه من السجود»^(٥).
- وعنه علیه السلام: «إنّ الإنسان إذا کان في الصلاة، فإنّ جسده وثیابه وکل شیء حوله یُسبّح»^(٦).
- وعنه علیه السلام: «إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إلیه إبلیس ینظر إلیه حسداً لما یرى من رحمة الله التي تغشاه»^(٧).
- وعن الإمام الصادق علیه السلام: «للمصلّي ثلاث خصال: إذا قام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٢٧.

(٢) الكليني، محمد، الكافي، ج٢، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٤) الحرّ العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج١، ص ٢٧.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٠٧.

(٦) الحرّ العاملي، محمد حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ج٢، ص ٩٦.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٠٧.

- في صلاته يتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحفّ به الملائكة من تحت قدميه إلى أعنان السماء، وملك ينادي: أيُّها المصلّي، لو تعلم من تناجي ما انفتلت»^(١).
- ٣- أن ينوي حفظ خياله في الصلاة، فإنّ مانع حضور القلب هوتشتّ الخواطر، وكثرة الواردات القلبيّة، فيطير الخيال من غصن إلى غصن. فالذي يريد حضور قلبه في الصلاة عليه أن ينوي السيطرة على طائر الخيال هذا، قال الإمام الخميني قُدَّسَ سَمُوهُ: «وهذا في أوّل الأمر ربما يبدو أمراً صعباً، ولكنّه بعد ما يعمل فيه مدّة بدقة وعلاج يصير طائعاً حتماً، ويرتاض على الإطاعة»^(٢).
- ٤- أن يتأمّل في معاني ما يقول، فلا تكون قراءته وذكره ودعاؤه لقلقة لسان، وهذا الأمر يتطوّر عند الإنسان إيجاباً حينما يطلع على معاني ما ورد ذكره في الصلاة.
- ٥- أن يستحضر تأويل الصلاة الوارد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «تأويل تكبيرتك الأوّل إلى إحرامك أن تخطر في نفسك إذا قلت: الله أكبر من أن يوصف بقيام أو قعود،... ثمّ تأويل مدّ عنقك في الركوع تخطر في نفسك: أمنت بك ولو ضربت عنقي، ثمّ تأويل رفع رأسك من الركوع إذا قلت: سمع الله لمن حمده الحمد لله رب العالمين تأويله: الذي

(١) الحرّ العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٣٤.

(٢) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة، ط ٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦ هـ، ص ٩٦.

أخرجني من العدم إلى الوجود، وتأويل السجدة الأولى أن تخطر في نفسك وأنت ساجد: منها خلقتني، ورفع رأسك تأويله: ومنها أخرجتني، والسجدة الثانية: وفيها تعيدني، ورفع رأسك تخطر بقلبك: ومنها تخرجني تارة أخرى...»^(١).

- ٦- أن ينظر إلى المحلّ الذي يستحبّ النظر إليه،
- فحال القيام يستحب النظر إلى موضع السجود،
- وحال القنوت يستحب النظر إلى باطن كفيه،
- وحال الركوع يستحب النظر إلى ما بين رجليه،
- وحال السجود يستحب النظر إلى طرف الأنف،
- وحال الجلوس يستحب النظر إلى الحجر^(٢).
- ٧- أن يبادر قبل الدخول في الصلاة بحلّ مشاكله الآنيّة. كالم يمكن تسكينه، أو مدافعة البول ونحوه، فعن أبي الدرداء: «من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة، ليدخل وقلبه فارغ»^(٣).
- لكن قد يفعل الإنسان جميع ما تقدّم ولا يحضر قلبه في الصلاة، لماذا؟ لأنّ هناك موانع من حضور القلب، نتعرّض لها فيما يأتي.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٥٤.

(٢) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٢٢ هـ، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، (لاط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (لا ت)، ج ٢، ص ٣٠٨.

موانع حضور القلب

تعرّض الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ما يمنع من مناجاة الله تعالى وحضور قلب المصلّي في دعاء السحر المعروف بدعاء أبي حمزة الثماليّ؛ إذ يقول فيه: «اللهم، إنّي كلّما قلت قد تهيّأت، وتعبّأت، وقمت للصلاة بين يديك، وناجيتك، ألقيت عليّ نعاساً إذا أنا صليت، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت! ومالي كلّما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التّوايين مجلسي، عرضت لي بليّة أزالتم قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك! سيّدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني»^(١).

ويعدّد الإمام السّجّاد عليه السلام أسباب ذلك بالآتي:

- ١- لعلّك رأيتني مستخفاً بحقك، فأقصيتني.
- ٢- لعلّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني. أي أبغضتني.
- ٣- لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين، فرفضتني.
- ٤- لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك، فحرمتني.
- ٥- لعلّك فقدتني من مجالس العلماء، فخذلتني.
- ٦- لعلّك رأيتني في الغافلين، فمن رحمتك آيسنتني.
- ٧- لعلّك رأيتني آلف مجالس البطالين، فبيني وبينهم خلّيتني.
- ٨- لعلّك لم تحبّ أن تسمع دعائي، فباعدتني.
- ٩- لعلّك بجرمي وجريرتي كافيتني.

(١) علي بن الحسين، الإمام زين العابدين، الصحيفة السجّادية، ط ١، قم، دفتر نشر الهادي،

١٠- لعلك بقلة حياءى منك جازيتنى^(١).

المانع الأساس لحضور القلب

مع خطورة الموانع المتقدمة يؤكد الإمام الخميني قدس سره في كتابه «الأداب المعنوية للصلاة» أنّ المنشأ الأساس لتشتت الخيال في الصلاة، والمانع الأول من حضور القلب فيها هو حبّ الدنيا.

قال قدس سره: «الذي يكون في قلوبهم حبّ المال والرياسة... فأولئك يشاهدون مطلوبهم في المنام أيضاً، ويتفكّرون في محبوبهم في يقظتهم، وما داموا يشغلون بالدنيا، فهم يعتنقون محبوبهم، فإذا حان وقت الصلاة، وحصل للقلب فراغ، فإنه يتعلّق بمحبوبه فوراً، فكأنما تكبيرة الإحرام هي مفتاح دكان، أو رافعة للحجاب بينه وبين محبوبه، فيتنبه وقد سلّم في صلاته، وما توجه إليها أصلاً»^(٢).

وهذا المعنى هو الذي أشار إليه الحديث القدسيّ الموجّه لرسول الله ﷺ في ليلة المعراج: «يا أحمد، لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض، ويصوم صيام أهل السماء والأرض، ويطوي عن الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العابدين، ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدنيا ذرة، أو سُمعتها أو رئاستها أو صيتها أو زينتها، لا يجاوزني في داري، ولأنزعنّ من قلبه محبّتي، ولأظلمنّ قلبه حتى ينساني، ولا أذيقه حلاوة محبّتي»^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة، ص ١٠٠.

(٣) الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٣٦.

بناءً عليه، فإنَّ العلاج الجذريَّ لمسألة حضور القلب يكمن في إزالة حبِّ الدنيا منه.

علاج حبِّ الدنيا

إنَّ علاج حبِّ الدنيا، وإن كان من الموضوعات الشائكة التي تحتاج إلى عمق في الطرح لا يتناسب مع هذا الكتيب إلا أننا، اقتداءً بالامام الخميني قَدْ رَضِيَ، نشير إلى ما ينفع في هذا العلاج وهو مؤلَّف من أمرين:

الأوَّل نظريّ: وينطلق من كون الحبِّ هو انجذاب القلب بسبب ما يراه المحبُّ من كمالات المحبوب، وعليه فلا بدَّ من إعادة النظر في كمالات الدنيا، وهل هي كمالات حقيقية أو وهمية، باقية، أو زائلة، والبدء من القرآن الكريم الذي دعا إلى نوع من التوازن في حياة الإنسان بين الدنيا الوسيلة والآخرة الغاية بقوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ﴾ ^(١)، إلا أنَّه أرشد إلى أنَّ كمالات الدنيا مرحلية وزائلة بسرعة وذلك في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَسِيحُ فَنَرِيهِ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ^(٢).

(١) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٠.

وقد فسّرت الآية بأنّها تشير إلى المراحل التي يعيش فيها الإنسان دنياه، فمرحلة الطفولة هي مرحلة اللعب، ثمّ تأتي مرحلة المراهقة، وهي مرحلة اللهو التي تبعده عن الجدّة في حياته، ثمّ تأتي مرحلة الشباب متمثلة بحبّ الزينة، وبعدها تأتي المرحلة الرابعة التي تتولّد في الإنسان دوافع التفاخر، وأخيراً يصل الإنسان إلى المرحلة الأخيرة التي يفكر فيها بزيادة المال والأولاد.

ويشبهه الله تعالى هذه الدنيا بالمطر الذي نزل على الأرض فطلع فيها النبات الأخضر البهيّ، لكنّه لم يلبث إلاّ فترة قليلة ليتحوّل إلى اللون الأصفر، ثم بعد ذلك يكون حطاماً.

ومن جميل ما ذكر في التأمّل بكمالات الدنيا ما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه تنفّس الصعداء بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: «يا جابر، علام تنفّسك؟ أعلى الدنيا؟ فقال جابر: نعم. فقال عليه السلام له: ملاذ الدنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والمشموم، والمسموع، فألذّ المأكولات العسل، هو بصاق من ذبابة، وأجلّ المشروبات الماء، وكفى بإباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلى الملابس الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء، وهي مبال في مبال، ومثال لمثال، وإنما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل، وهي قواطل، وأجلّ المشمومات المسك، وهو دم من سرّة دابة، وأجلّ المسموعات

الغناء والترنم، وهو إثم، فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل. قال جابر بن عبد الله: فوالله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبي»^(١). بعد هذا التأمل في كمالات الدنيا، والذي ينبغي أن يؤثر في انجذاب الإنسان إليها، يدعو الإمام الخميني قَدْ سَلَّمَ إلى المقايسة بين منافع حب الدنيا ومضارّه، ويستعين لذلك بالحديث الوارد عن الإمام الصادق ع: «رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا»^(٢)، ويعلّق قائلاً: «يكفي لهذه الخطيئة العظيمة المهلكة أنها منبع لجميع الخطايا، وأساس جميع المفساد، فبقيل من التأمل يعلم أنّ جميع المفساد الخلقية والعملية... من ثمرات هذه الشجرة الخبيثة... وأنّ القتل والنهب والظلم والتعدي هي نتائج هذه الخطيئة، وأنّ المضجور والفحشاء والسرقعة، وسائر الفجائع وليدة هذه الجرثومة للفساد، والإنسان الذي قرّ فيه هذا الحبّ مجانب لجميع الفضائل المعنوية، وأنّ الشجاعة والعفة والسخاء والعدالة التي هي مبدأ جميع الفضائل النفسانية لا تجتمع مع حبّ الدنيا، وأنّ المعارف الإلهية، والتوحيد في الأسماء والصفات والأفعال والذات، وطلب الحقّ، ورؤية الحقّ، متضادة مع حبّ الدنيا، وأنّ طمأنينة النفس، وسكون خاطر، واستراحة القلب، التي هي روح السعادة في الدنيا، لا تجتمع مع حبّ الدنيا، وأنّ غنى

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١١.

(٢) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٣١٥.

القلب وكرامة وعزة النفس والحرية كلّها من لوازم عدم الاعتناء بالدنيا، كما أنّ الفقر والذلة والطمع والحرص والرقية والتملق من لوازم حبّ الدنيا، وأنّ البغض والحقد والجور وقطع الرحم والنفاق وسائر الأخلاق الفاسدة وليدة أمّ الأمراض هذه»^(١).

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر، وعينها الحرص، وأذنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدها الشهوة، ورجلها العجب، وقلبها الغفلة، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال، فمن أحبّها أورثته الحرص، ومن طلبها أودته إلى الطمع، ومن مدحها ألبسته الرياء، ومن أرادها مكّنته من العجب، ومن اطمأنّ إليها أولته الغفلة، ومن أعجبه متاعها أفنته، ومن جمعها وبخل بها ردّته إلى مستقرها وهي النار»^(٢).

الثاني: علاج عملي: وطريقه، بحسب تعبير الامام قدس سره أن يعامله بالضدّ، فإذا كان تعلّقه بمال ومنال فإنّه يقطع جذورها عن القلب ببسط اليد والصدقات الواجبة والمستحبة، ويشير قدس سره إلى أنّ من أسرار الصدقات تقليل العلاقة بالدنيا، ولهذا يستحبّ للانسان أن يتصدّق بالشيء الذي يحبّه ويتعلّق قلبه به، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَنْ نَأْثُرَ بِكَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٣). وان كانت علاقته بفخر وتقدّم ورياسة، فليعمل ضدها ويرغم

(١) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

النفس حتى تصير إلى الصلاح.

تحذير: ويحذر الامام قُدَّسَ سَمُوهُ من أنَّ الإنسان كلما اتبع الدنيا أكثر، كلما زادت علاقته بها أكثر، ويكون أسفه على فقدانها أزيد، وتكون حالته كما أشار الامام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»^(١)، وكما أشار الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «مثل الدنيا كماء البحر كلما شربه إنسان عطشان يزيد عطشه حتى يقتله»^(٢).

موعظة

قال قُدَّسَ سَمُوهُ: «فأنت يا طالب الحق والسالك إلى الله، إذا طوّعت طائر الخيال وقيّدت شيطان الواهمة وخلعت نعلي حبّ النساء والأولاد وسائر الشؤون، واستأنست بجذوة نار العشق لفطرة الله وقلت: إني آنست ناراً، ووجدت نفسك خالياً من موانع السير، وهيأت أسباب السفر، فقم من مكانك، واهجر هذا البيت المظلم للطبيعة والمعبر الضيق المظلم للدنيا، واقطع سلاسل الزمان وقيوده، وانج بنفسك من هذا السجن وأطر طائر القدس إلى محفل الأُنس»^(٣).

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٢١٦.

(٢) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة، ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٢.



السلوك المنجي: الإخلاص

تقدّم أنّ برنامج السير والسلوك يبدأ بالتفكير ويستمرّ بالعزم، وبعدهما لا بدّ من السلوك الساتر للذنوب وهو التوبة إلى الله تعالى، والتي عمدتها ترك المعصية الذي يتحقّق بترك المحرّمات وفعل الواجبات، ثمّ يأتي السلوك الماحي للذنوب، وهو الصلاة في أوّل الوقت، والتي تتعرّز مكانتها من خلال حضور القلب فيها. يبقى سلوك ثالث بدونه:

لا يصل السالك إلى غايته، بل يضلّ.

لا ينجو الإنسان، بل يهلك.

لا يُقبل العمل، بل يُرفض.

ألا وهو الإخلاص لله تعالى في العمل.

- فغير المخلص لله عزّ وجلّ لا يصل إلى الحقيقة المعبر عنها بقاء الله تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) قال عليه السلام: «الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

به وجه الله إنّما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه»^(١).

- وغير المخلص لله مصيره الهلاك. فعن الإمام عليّ عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ سئل: فيما النجاة غدًا؟ فقال ﷺ: إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم؛ فإنّه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر. فقل له: وكيف يخادع الله؟ قال ﷺ: يعمل بما أمره الله، ثم يريد به غيره، فاتّقوا الله، واجتنبوا الرياء؛ فإنّه شرك بالله، إنّ المرأى يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له»^(٣).

- وقد تقدّم ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدنيا كلّها جهل إلا موضع العلم، والعلم كلّ حجة إلا ما عمل به، والعمل كلّ رياء إلا ما كان مخلصًا، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له»^(٤).
- وغير المخلص لله لا يقبل عمله ولا يبقى، بل يرفض ويزول، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال الله عزّ وجلّ: أنا خير شريك،

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦٨.

(٣) الصدوق، محمد، الأمالي، ص ٦٧٧.

(٤) الصدوق، محمد، التوحيد، ص ٣١٧.

من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً^(١).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «اجعلوا أمركم لله، ولا تجعلوه للناس؛ فإنه ما كان لله، فهو لله، وما كان للناس، فلا يصعد إلى الله»^(٢).

وإلى هذا أشار الحديث النبوي الشريف: «كل أمر ذي بال لا يذكر باسم الله فيه، فهو أبتَر»^(٣)، بتفسير ذلك بالإخلاص، لا بمجرد ذكر «باسم الله».

والإخلاص لا يقتصر على أول العمل، بل لا بد من استمراره ودوامه، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «الإبقاء على العمل أشد من العمل، قال: وما الإبقاء على العمل؟ قال عليه السلام: يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فيكتب له سرّاً، ثم يذكرها فتمحى، فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى، وتكتب له رياء»^(٤).

محورية النية في عمل الإنسان

إنّ ما تقدّم ينطلق من كون الله تعالى لا يقوم عمل الإنسان من خلال شكله أو ضخامته أو آثاره، بل من خلال مقصد العامل ونيّته،

(١) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، (لا، ط)، (لا، م)، بنباد

فرهنگ إسلامی، (لا، ت)، ج ١٢، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) الكليني، محمد، الكافي، ج ١، ص ١٦٦.

(٣) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٧٠.

(٤) الكليني، محمد، الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦.

وهو ما ينبغي للعقلاء ان يتخذوه منهجاً في تقويم الناس، فلو أنَّ إنساناً خبيث الباطن كان يقوم بصناعة مركَّب كيماوي بهدف القضاء على أطفال، فكان عمله هذا سبباً لاكتشاف دواء تُعالج به أمراض مستعصية، فهل يمدح هذا الإنسان على عمله، أم أنَّ العقلاء يحكمون عليه حكماً سلبياً لكون هدفه كذلك.

من هذا المنطلق أكّد الإسلام على محوريّة النية في عمل الإنسان، ففي الحديث النبويّ المشهور: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وفي حديثٍ نبويّ آخر: «نيّة المؤمن خير من عمله»^(٢). فلو أردنا مقايسة عمل قام به الإنسان من دون أيّة نيّة، بل أتى به عبثاً، وبين نيّة الإنسان فعل الخير، لكنّه لم يتوفّق لتحقيقه، فإنّ هذه النيّة أفضل من ذلك العمل.

وقد أكّد الإسلام على أهميّة النيّة مقابل من يقوم العمل بحسب صورته وكمّيّته وآثاره ونحو ذلك، وهذا النمط من التفكير سرى على فهم البعض للنصوص الدينيّة، فمثلاً حينما قرأ البعض قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢١١.

(٢) الكليني، محمّد، الكافي، ج ٢، ص ٨٤.

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ وعلموا أنّ هذه الآية نزلت - كما هو المعروف عند المسلمين - في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما كان في المسجد، وقد دخل فقير يطلب من المسلمين صدقة، فلم يعطه أحد، فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللّهُمَّ إِنِّي دخلت مسجد نبيّك، ولم يتصدّق عليّ أحدٌ من المسلمين»، وكان الإمام عليّ عليه السلام يصلي، فأشار عليه السلام إلى الفقير بيده أثناء الصلاة، وناولته الخاتم الذي كان يلبسه. في هذه الأثناء نزل جبرئيل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ بهذه الآية، فخرج النبي ﷺ إلى المسجد، وسأل المسلمين: من تصدّق في صلاته؟ فقليل له: إنّ عليّ عليه السلام، فكبر النبي ﷺ حامداً الله تعالى لنزول آية الولاية في ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. (٢).

حينما قرأ أولئك الناس هذه القصّة لم يتعقّلوا أنّ آية الولاية الكبرى تنزل في شخص؛ لأنّه تصدّق بخاتم عادي؛ إذ لا بدّ - بحسب تفكيرهم - من أن يكون الخاتم ذا قيمة ماديّة كبيرة، لذا قالوا: إنّ قيمة خاتم عليّ عليه السلام هذا تعادل خراج بلاد الشام، قال الشهيد المطهري: «ولكي يصدّق الناس، صاغوا هذا القول بشكل رواية» (٢).

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٢) أنظر: المشهدي، محمّد، تفسير كنز الدقائق، تحقيق حسين دركاهي، ط ١، (لام)، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٤٠٧هـ، ج ٣، ص ١٢٠.

(٣) المطهري، مرتضى، العدل الإلهي، (لاط)، منشورات الدار الإسلاميّة، (لام)، (لا،ت)، ص ٣٤٥.

كلّا، إنّ الأمر لم يكن كذلك، فإن عليّاً عليه السلام لا يلبس مثل هذا الخاتم، وفي المدينة فقراء يَتَنَوَّن، ولو ملكه، فإنه لا يهديه إلى فقير، بل يحيي به المدينة كلّها.

إنّ قيمة عمل عليّ عليه السلام الذي قام به وهو يصليّ تكمن في الإخلاص الذي امتلك قلب عليّ عليه السلام وهو يهدي الفقير خاتمه. وليست صورة التصدّق في الصلاة هي التي أنزلت آية الولاية، كما ظنّ بعض الصحابة الذين قال أحدهم: تصدّقت في الصلاة بخاتم أربعين مرّة لينزل فيّ ما نزل في عليّ عليه السلام فلم ينزل!!!

تنقية الباطن

إنّ ما تقدّم يدعو السالك إلى الله أن ينقي ويخلص نيّته وباطنه من آية شائبة سلبية كالرياء والإضرار بالآخرين والعصبية لغير الحقّ الخ.

ومما يساعده على ذلك أن يتذكّر قبل أن يقوم بأيّ عمل بالنتيجة المترتبة عليه على قاعدة النصيحة النبويّة: «إذا هممت بأمر، فتدبّر عاقبته»^(١)، فعمله إن كان لله تعالى، فإنه يبقى وله ثوابه، ويحقّق الرضا، وإن لم يكن لله عزّ وجلّ، فإنه يزول، ويُرفض، ويعرّض صاحبه للهلاك.

(١) الحرّ العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٨١.



خلاصة برنامج السير السلوك ونتائجه

الخلاصة

يمكن تلخيص ما تقدّم في برنامج السير والسلوك إلى الله تعالى بالآتي:
مقدّمات البرنامج خطوتان: خطوة العقل وهي التفكير، وخطوة القلب وهي العزم.

السلوك المطلوب يتحقّق بثلاثة أمور:

الأوّل: أن يتوب إلى الله تعالى توبةً نصوحًا أساسها الالتزام بترك الحرام وفعل الواجب.
الثاني: أن يقيم الصلاة في أوقاتها، إقامة تكتمل بحضور القلب.

الثالث: أن يخلص لله في جميع أعماله.

النتيجة

قال الفيلسوف الكبير صدر الدين الشيرازي في مقدّمة كتابه الشهير «الحكمة المتعالية» (الأسفار الأربعة):

«وإنِّي لأستغفر كثيراً ممَّا ضيَّعت شطراً من عمري في تتبُّع آراء المتفلسفة والمجادلين من أهل الكلام، وتدقيقاتهم وتعلُّم جربذتهم في القول وتفنُّنهم في البحث، حتى تبين لي آخر الأمر بنور الإيمان، وتأييد الله المَنَّان أن قياسهم عقيم، وصراطهم غير مستقيم، فألقينا زمام أمرنا إليه وإلى رسوله النذير المنذر، فكلَّ ما بلغنا منه آمنا به وصدَّقناه، ولم نحتلَّ أن نخيلَّ له وجهاً عقلياً ومسلِكاً بحثياً، بل اقتدينا بهداه وانتهينا بنهيه، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قَحْطُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنِهَوْا﴾^(١)»^(٢).

إنَّ هذا الكلام القليل يختصر لنا عشرات السنين من عمر هذا الفيلسوف العارف بالله، والذي يؤكِّد فيه أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد اختصرتا طريق الوصول إلى الحقيقة، إلى الكمال الإنساني، إلى السعادة الكبرى.

ومن الواضح أنَّ البرنامج السابق، كما عرفنا ممَّا تقدَّم، هو خلاصة ما ورد في الكتاب العزيز والسنة المباركة.

ممَّا تقدَّم نعرف السِّرَّ فيما طرحه العارف بالله آية الله العظمى الشيخ بهجت رحمته الله حول البرنامج الموصول إلى تلك الحقيقة وذلك الكمال، فهو ينقل عن أستاذه العارف الأعظم السيِّد علي

(١) سورة الحشر، الآية ٧.

(٢) الأسفار، ج ١، ص ٤.

القاضي رحمته الله بأنّه بعد عشرات السنين من السير والسلوك توصل إلى النتيجة الآتية:

من أراد أن يصل إلى الحقيقة فيكفي أن يقوم بثلاثة أمور:
الأول: أن يفعل الواجبات ويترك المحرّمات.

الثاني: أن يخلص لله تعالى في أعماله.

الثالث: أن يصليّ في أول أوقات الصلوات بحضور قلب.
ويعقب الشيخ بهجت: أنا أقول: من أراد أن يصل إلى الحقيقة فيكفي أن يقوم بثلاثة أمور:

الأول: أن يفعل الواجبات ويترك المحرّمات.

الثاني: أن يخلص لله في أعماله.

الثالث: أن يصليّ في أول أوقات الصلاة، سواء بحضور قلب أو بدون حضور. فإنّه إن فعل ذلك فإنّه سيصل إن شاء الله تعالى.
أسأل الله أن يوفقنا في تطبيق ذلك، عسانا نصل إلى رضاه.
والحمد لله رب العالمين

أكرم بركات

مسجد القائم رحمته الله الضاحية الجنوبية

بيروت - شهر رمضان ١٤٣٦هـ

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

أ

ابن أبي الحديد:

٢. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٨٧هـ.

ابن حنبل، أحمد:

٣. مسند أحمد بن حنبل، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت).

ابن أبي طالب، الإمام علي:

٤. نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.

ابن فارس، أحمد:

٥. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا،ط)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

ابن قدامة، عبد الله:

٦. كتاب التوايين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (لا،ط)، بغداد، (لا،ت).

الأمين، حسن:

٧. مُستدرکات أعيان الشيعة، ط٢، بيروت دار التعارف للمطبوعات
١٤١٨هـ.

الأمين، محسن:

٨. أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار
التعارف، ١٤٠٣هـ.

ب**بركات، أكرم:**

٩. ميزان السير والسلوك، ط٨، بيروت، بيت السراج، ١٤٣٤هـ.
١٠. كيف ترجع كما ولدتك أمك، بيروت، بيت السراج، ١٤٣٤هـ.

بحر العلوم:

١١. رسالة السير والسلوك الرسالة (المنسوبة إلى بحر العلوم)،
تحقيق حسن مصطفوي، ط١، بيروت، دار الروضة، ١٤١٢هـ.

الحائري، كاظم:

١٢. تزكية النفس، ط١، قم، مؤسسة الفقه، ١٤٢١هـ.

الحرّ العاملي، محمد حسن:

١٣. وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء
التراث، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٤. الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق محمد ابن محمد
حسين القائيني، ط١، قم، مؤسسة معارف إسلامي، ١٤١٨هـ.

الحسني، هاشم:

١٥. سيرة الأئمة الاثني عشر، (لا،ط)، قم، الشريف الرضي، (لا،ت).

الحلي، ابن فهد:

١٦. عدة الداعي ونجاح الساعي، (لا،ط)، قم، وجداني، (لا،ت).

خ**الخميني، روح الله:**

١٧. أبعاد الحج، ط١، بيروت، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ١٤٢٢هـ.

١٨. الآداب المعنوية للصلاة، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦هـ.

١٩. الأربعون حديثاً، ترجمة الغروي، (لا،ط)، دار التعارف، بيروت، ١٩٩١م.

الخوئي، أبا القاسم:

٢٠. مصباح الفقاهة، تقرير محمد علي التوحيدي، ط٢، قم، حاجياني، (لا،ت).

د**الدينوري، أحمد:**

٢١. الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١ القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

ر

الرازي، فخر الدين:

٢٢. التفسير الكبير، ط٢، قم، (لا، ن) (لا، ت).

الراوندي، قطب الدين:

٢٣. الدعوات، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

س

السيوطي، جلال الدين:

٢٤. الجامع الصغير، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

ش

شبر، عبد الله:

٢٥. تسلية الفؤاد، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الوفاء، (لا، ت).

الشيرازي، ناصر:

٢٦. الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قم، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، (لا، ت).

الشيرازي، صدر المتألهين:

٢٧. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، (لا، ط)، قم، المصطفوي، (لا، ت).

ص

الصدوق، محمد:

٢٨. الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، ط١، قم، ١٤١٧هـ.

٢٩. التوحيد، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، (لا، ت).

٣٠. ثواب الأعمال، ط٢، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٨هـ.ش.
٣١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.

ط

الطباطبائي، محمد حسين:

٣٢. الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م.
- الطريحي، فخر الدين:
٣٣. مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، قم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.
- الطوسي، محمد:
٣٤. الآمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.
٣٥. مصباح المتهجد، ط١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ.
- الطبرسي، حسين:
٣٦. مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام، بيروت، ١٤٠٨هـ.

ع

عبد المنعم، محمود:

٣٧. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (لا،ط)، القاهرة، دار الفضيحة، (لا،ت).

العسكري، أبو هلال:

٣٨. الفروق اللغوية، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤١٢هـ.

علي بن الحسين، الإمام زين العابدين:

٣٩. الصحيفة السجادية، ط١، قم، دفتر نشر الهادي، ١٤١٨هـ.

غ

الغزالي، أبو حامد:

٤٠. إحياء علوم الدين، (لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (لا،ت).

ق

القمي، عباس:

٤١. مفاتيح الجنان، ط٢، قم، مكتبة العزيزي، ١٣٨٥هـ.ش.

ك

الكاشاني، الفيض:

٤٢. المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ط٢، قم، دفتر انتشارات، (لا،ت).

كاشف الغطاء، جعفر:

٤٣. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٢٢هـ.

الكليّني، محمّد:

٤٤. الكافي، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧هـ.ش.

م

المجلسي، محمّد باقر:

٤٥. بحار الأنوار، تحقيق ابراهيم الميانجي ومحمد الباقر

البهبودي، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.

المجلسي، محمّد تقي:

٤٦. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، (لا،ط)،

(لا،م)، بنياد فرهنگ إسلامي، (لا،ت).

المشهدّي، محمّد:

٤٧. تفسير كنز الدقائق، تحقيق حسين دركاهي، ط١، (لا،م)،

وزارة الثقافة والإرشاد، ١٤٠٧هـ.

المصطفوي، حسن:

٤٨. التحقيق في كلمات القرآن، ط١، طهران، مؤسسة الطباعة

والنشر، ١٤١٧هـ.

المطهري، مرتضى:

٤٩. العدل الإلهي، (لا،ط)، منشورات الدار الإسلامية، (لا،م)،

(لا،ت).

٥٠. الكلام العرفان، تعريب علي خازم، ط١، بيروت، الدار

الإسلامية، ١٩٩٢م.

المفيد، محمد:

٥١. الأمالي، تحقيق حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

المهتدي البحراني، عبد العظيم:

٥٢. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ط١ قم، انتشارات شريف الرضي، ١٤٢١هـ.

المتقي الهندي، علاء الدين:

٥٣. كنز العمال، تحقيق بكرى حياني وصفوة السقا، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.

ن

النراقي، محمد مهدي:

٥٤. جامع السعادات، تحقيق محمد كلانتر، (لا، ط)، النجف، دار النعمان، (لا، ت).

و

الواسطي، علي:

٥٥. عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندی، ط١، قم، دار الحديث، ١٣٧٦هـ.

الفهرس

المقدمة.....	٥
الفصل الأول: على عتبة البرنامج.....	٧
١. هدف السير والسلوك.....	٩
وقفة مع العبادة.....	٩
تزكية النفس.....	١١
٢. ميزان السير والسلوك.....	١٣
كيف نميِّز السلوك الحقّ من السير الباطل؟.....	١٤
اتباع الفقهاء في ظاهر الشريعة.....	١٦
نماذج تطبيقية في ضوء الميزان.....	١٨
٣. معركة السير والسلوك.....	١٩
معركة جهاد النفس.....	٢١
مشهد معركة جهاد النفس.....	٢١
النفس مائلة.....	٢٣
المراد من الوهم.....	٢٤
الطائر الماكر.....	٢٥
القوى الثلاث في أصلها قوى خير.....	٢٦

- ٢٧ المراد من العقل
٤. دوام السير والسلوك ٢٩
- ٣٠ قصص المنزلقين
- ٣٣ المنجيات من سوء العاقبة
- ٣٣ قصة معبرة
٥. انتصار السالك بأسلحة الخارج ٣٥
- ٢- الابتعاد عن مسببات الشهوة ٣٦
- وقفه مع هذا المنهج ٤٠
- المنهج الثاني ٤١

الفصل الثاني: برنامج السير والسلوك ٤٣

٦. خطوة العقل: التفكير ٤٥
- ٤٥ معنى التفكير
- ٤٦ مدح التفكير
- ٦٤ لماذا نتفكر؟
- ٥٣ ناتج التفكير
- ٥٤ قصة التائب مع الإمام الحسين عليه السلام
- ٥٦ خاطب نفسك
- ٥٧ الخطوة القلبية: العزم
- ٥٨ كيف نصل إلى العزم؟
- ٦٠ محورا التفقه
- ٦١ معالم الجنة

- ٦٤ معالم جهنّم
- ٦٥ الآخرة بين الاحتمال واليقين
- ٦٦ هل التفقه يلازم العزم حتماً؟
- ٦٨ لماذا لا تؤدّي المعرفة دائماً إلى السلوك الصحيح؟ ...
- ٧٠ كيف نرى الصورة على واقعها؟
- ٧٣ معرّزات العزم
- ٧٤ ممّا يُضعف الإرادة
- ٧٥ ٧. السلوك الساتر: ترك المعصية
- ٧٥ لا سلوك بدون توبة
- ٧٦ التوبة مضمونة الستر
- ٧٨ مفعول التوبة
- ٨٧ التوبة تفتح طريق الحبّ الإلهيّ
- ٧٩ معنى التوبة
- ٨٠ زمن قبول التوبة
- ٨٠ برنامج التوبة
- ٨٢ المشاركة والمراقبة والمحاسبة
- ٦٨ نصيحة الإمام الخمينيّ قدس سرّه
- ٨٧ ٨. السلوك الماحي: الصلاة
- ٨٨ شرط الصلاة الماحية
- ٨٩ الصلاة في أوّل الوقت
- ٩٠ الصلاة في حضور القلب

٩٢	كيف يحضر القلب في الصلاة؟
٩٦	موانع حضور القلب
٩٧	المانع الأساس لحضور القلب
٩٨	علاج حبّ الدنيا
١٠٢	موعظة
١٠٣	٩. السلوك المنجي: الإخلاص
١٠٥	محوريّة النية في عمل الإنسان
١٠٨	تنقية الباطن
١٠٩	١٠. خلاصة برنامج السير السلوك ونتائجه
١٠٩	الخلاصة
٩٠١	السلوك المطلوب يتحقّق بثلاثة أمور:
١٠٩	النتيجة
١١٣	المصادر والمراجع
١٢٥	صدر للمؤلف

صدر للمؤلف



١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدولي في إيران.
٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التويه والتوصية بالنشر.
٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزوية.
٥. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٦. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٧. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٨. برقية الحسين عليه السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d'Al-Houssein (Qu'Allah le salue).

٩. هكذا تكون سعيداً، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
- مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.
١٠. وأتمناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
١١. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.
١٢. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.
١٣. التبليغ من وحي التجربة، قم.
١٤. Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).
١٥. A ORACAO NO ISLAM «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).
١٦. خيوط القبة، بيروت، دار الصفوة.
١٧. حائك القبة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.
١٨. شهر الله آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
١٩. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.
٢٠. محاضرات في الثقافة الإسلامية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢١. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ ﷺ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٢. هذا رسول الله ﷺ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٣. يسألونك عن الله، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t'interrogent à propos Allah.

٢٤. يسألونك عن الأنبياء ﷺ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: They ask you about prophets

٢٥. يسألونك عن الأئمة ﷺ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: They ask you about Imams.

٢٦. يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٧. يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة (مركز نون للتأليف

والترجمة):

They ask you about Imitation.

Il t'interrogent sue le Taqlid.

٢٨. يسألونك عن القبر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٠. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢١. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٢. ٢ حقوق لحياة زوجية ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٣. كيف تجعل ولدك صالحاً؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٤. كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٥. كيف نبني مجتمعاً أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٦. آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٧. برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
(بين يدي القارئ)

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها على موقع سراج القائم

www.sirajalqaem.com

إن أردت : تحقيق سرّ وجودك وهدف خلقك
الانتصار في معركة نفسك الدائمة
الوصول بسيرك إلى الحقيقة

نامراً برنامجاً • وصفه : - واضع المحام

- قليل البنود

• مصدره : - القرآن الكريم

- الرسول (ص) والآل (ع)

• حاصله : - ناتج معارف الفقهاء

- خلاصة سلوك العباد

في هذا الكتاب .

الكتاب



سلسلة على منبر القائم ع

بيت السراج
للثقافة والنشر



e-mail: akrambarakat@sirajalqaem.com
www.sirajalqaem.com
tel: +961 71055510